برعاية المدار الجديد

مرتقى

مجلة فصلية: شرعية، ثقافية، علمية، اجتماعية
تصدر عن إدارة البحوث والاستشارات بمركز الشيخ علي الغرياني للكتاب

السنة الثانية | العدد العاشر | ديسمبر 2025م، جمادى الآخرة 1447 هـ

04 الذكرى الخامسة لتأسيس مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب

12 الحق والحقيقة بين الفلسفة والسياق القرآني - نزار كريكش

32 طوفان القلم رحلة في مجتمع الثبات - عزام بحر

44 الإعلام والعقل العربي - جمعة الزريقي

مشعـــل

مجلة فصليـــة: شرعية، ثقافيـة، علمية، اجتماعية

تصـــدر عـــن إدارة البحـــوث والاستشـــارات بمركـــز الشيـخ علي الغريـــاني للكتاب

مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب
Sheikh Ali Alghiryani Book Center

تاجـوراء، قـــرب كوبـــري الشاحنـات، بجـوار مدرسـة الإمام مالك للتعليم الشرعي

@ Shabcenter

00218 91 024 0866

info@shabcenter.ly

فهرس

الذكرى الخامسة لتأسيس مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب	07 - 04
جانب من نشاطات مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب	11 - 08
الحق والحقيقة بين الفلسفة والسياق القرآني نزار كريكش	15 - 12
هل التاريخ علم؟ محمد إلهامي	19 - 16
فلسفة التاريخ والوعي الليبي نجاح بن زايد	23 - 20
المصالحة الوطنية مقصد شرعي عادل المحروق	27 - 24
ليبيا وصلتها بمشروع الشرق الأوسط أحمد المهذب	31 - 28
طوفان القلم رحلة في مجتمع الثبات عزام بحر	35 - 32
إدمـان الألعـاب الإلكترونيـة لـدى المراهقين زينب الفنداق	39 - 36
الإنسـان والذكـاء الاصطنـاعي عبد العظيم الجهاني	43 - 40
الإعـلام والعقـل العـربي جمعة الزريقي	51 - 44
النقود غير الرسمية والنقود الإلكترونية عبد الحميد الفضيل	55 - 52

افتتاحية العدد

يحتفل مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب بذكراه الخامسة وقد غدا مركزين لا واحدا، وصارت خزانة كتبه أضعاف ما كانت عليه، وتجهيزاته أفضل من ذي قبل، يجيء هذه الذكرى وقد غدت تجربته منارة في عالم المكتبات الليبية، يشيد بها كل من زارها أو استفاد مما تقدمه من خدمات جليلة، وهذه هي الطريقة المثلى للاحتفاء بذكرى التأسيس.. العمل المستمر.

بين نوفمبر 2020 ونظيره في 2025، رحلة طويلة بمحطاتها وعلامات طرقها وحكايات دروبها التي قطعتها قافلة مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب مذ كانت تستعد بحمل زادها وترسم طريق سفرها، حتى بلغت بفضل الله أرضا كان يظنها العابر عصية البلوغ، وقد صنع المركز بتميزه واقعا جديدا في عالم المراكز الثقافية وخدمات المكتبات والمبادرات الاجتماعية.

وبقدر ما نفخر بما تحقق من إنجاز، وما شرفنا الله به لخدمة عباده، فإننا ما زلنا نؤكد أن هذا المركز لروّاده ومحبيه، من المجتمع وإليه، صمم لأجلهم وسيبقى في خدمته، بل يسعى كل يوم لتجويد خدماته وتطوير إمكاناته وتحديث مبادراته وورشه وتدريباته، وتدعيم رفوفه بكل جديد في كل العلوم والتخصصات، حتى يكون عند حسن ظن زواره، معانقا لتطلعات طلاب العلم من زوّاره، ويعزز بصمته الإيجابية في واقع مجتمعه.

من واحة العلوم تاجوراء، انطلقت الرحلة، واليوم ولد لمركز الشيخ علي الغرياني فرع جديد في منطقة الظهرة بقلب المحروسة طرابلس، حتى يصل بخدماته لمن لا يستطيع الوصول إليه، وقد قوبل هذا المولود الجديد بترحاب حار من ذويه وأهله في المنطقة، ولن تكون -بفضل الله وعونه- محطة أخيرة، إذ يسعى المركز إلى مزيد من التوسع وكثير من الفروع.

فيامن يقرأ هذه السطور، هذا الصرح لك وغايته خدمتك، فإن كان لك من اقتراح أو ملاحظة أو فكرة أو مبادرة، فأبوابه مفتوحة تسعد بكل ما تقدمه، ولن تجد أي صعوبة في الوصول إلى طاقمه ومشرفيه، وسيوضع مقترحك وفكرتك موضع الاهتمام والمناقشة الجدية، وإن وفقكم الله ووفقنا فسيصير واقعا، كما حدث مرارا ويحدث باستمرار.

إن هذه المناسبة فرصة لشكركم جميعا، قرائنا وزوارنا، مدربينا ومتطوعينا، المبادرون والمبادرات الفاضلات، من ملؤوا المركز روحا ونشاطا بمحاضراتهم ودوراتهم وورشهم وندواتهم ونقاشاتهم وكتاباتهم، من جعلوا هذا الصرح حيًا يبعث الحياة في المجتمع، من زاره ودعمه ودعا له، بمناسبة الذكرى الخامسة، وفي كل ذكرى وفي كل يوم، شكرا لكم جميعا وأدام الله نفعكم وبارك في علمكم وعملكم.

5 أسباب جعلته في ريادة المكتبات الليبية

عرفت ليبيا عبر تاريخها الثقافي القديم مكتبات عدة كانت مقصد الطلاب، واشتهر من نخبتها نسّاخون وكتبيون وعلماء جمعوا كثيرا من تراث هذه الأمة وقدموه لمن بعدهم من الأجيال، من مكتبات السنوسيين في الجغبوب والكفرة، إلى مكتبات العائلة الغدامسية، ومكتبات النفوسيين في الجبل، وصولا إلى كافة المكتبات الخاصة والعامة عبر مدن وواحات وقرى البلاد الليبية .

وقد تطورت المكتبات وأشكالها وطرق ترتيبها

في الذكرى الخامسة لتأسيس مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب

وخدماتها عبر الزمن، خاصة بعد اختراع الطباعة وانتشار الكتاب انتشارا لم يعرفه تاريخ البشرية من قبل، وقد أصبح مفهوم المكتبات العامة مختلفا ومتطورا، فانتقلت من خدمة المجتمعات العلمية المغلقة، ودوائر الطلاب والمريدين المحصورة، إلى خدمة شرائح الناس كافة على اختلاف أعمارهم واتجاهاتهم واهتماماتهم، وإلى جانب الآفاق والحسنات الواضحة لهذا التطور، فقد فرض تحديات جديدة على الكتبيين ومدراء المكتبات والمراكز الثقافية، من حيث الشمول والتنوع والتنظيم والترتيب وسهولة الوصول وجودة الخدمة وغيرها من القواعد الأساسية لعمل المكتبات.

وقد عرفت ليبيا في تاريخها الحديث، مكتبات عامة عدة سواء تلك المرتبطة بالقطاع الخاص أو القطاع العام، لكن جلّها ظل جامدا غير قادر على مواكبة التحديات التكنولوجية والخدمية الحديثة، وحين ولدت فكرة «مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب» كان في صلب رؤيتها الأساسية تجاوز هذه التحديات وتقديم نموذج جديد وفعال ورائد في خدمات المكتاب.

من الفكرة إلى الخطوة

تضم مكتبة الشيخ علي الغرياني للكتاب اليوم ما يزيد عن 46.000 عنوان في شتى العلوم والمعارف، من علوم شرعية، وتطبيقية، وإنسانية، إلى جانب الفنون والمعارف العامة، والكتب الخاصة بالأطفال، وغيرها من الأقسام التي تستوعب كل اهتمامات القراء من مختلف التخصصات.

لكن هذا الإنجاز -المستمر- مر بخطوات ومراحل تراكمية، حيث عمد المركز إلى اقتناء وجمع مصادره عبر طريقتين، الأولى هي الاقتناء من دور النشر واختيار العناوين المهمة والجديدة وشرائها من المكتبات والمعارض الدولية والمحلية، أما الثانية، فقد جاءت عبر الثقة التي اكتسبها المركز من جودة خدمته وتفانيه في خدمة المجتمع، ما جعل كبار الأساتذة والمفكرين والمثقفين الليبيين يعمدون إلى إهداء كامل مكتباتهم أو أجزاء منها إلى مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب، وكثير من هذه المكتبات متخصصة ثمينة المحتوى، وبالدمج بين هاتين الطريقتين، بنى المركز مكتبة قل نظيرها في البلاد.

ويعد التزام المركز في مواعيد العمل، وجودة الخدمة، والاستمرارية، والحرص على التطور، أهم أسباب بناء هذه الثقة المتبادلة بينه وبين المجتمع العلمي والثقافي في ليبيا.

التكنولوجيا في خدمة الكتاب

بيد أن أهم ما تميزبه مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب وجعله في صدارة المكتبات الليبية من حيث عدد الزوار والمترددين على

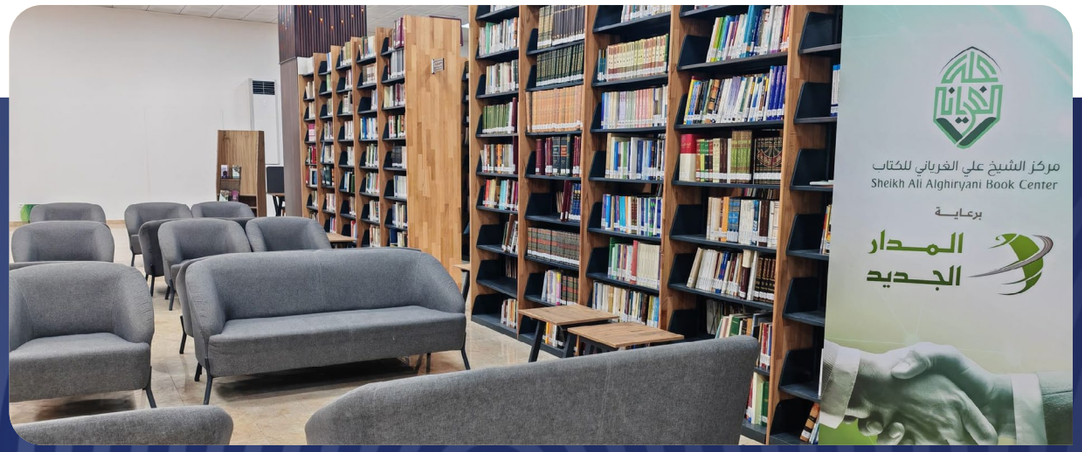

قاعاتـه، هو التحـول الـرقمي والتقـدم التقني لخدماتـه، وذلـك عبر عـدة خدمـات:

الفهرسة والبحث الإلكتروني

إذ رتبـت كل كتـب المركـز وفق نظـام ديوي العشـري، وهو النظام العالمي المتبـع في تنظيم المكتبات، وتـم ربط الكتب وأرقامهـا بمنظومة إلكترونيـة يمكـن البحـث فيهـا مـن المنزل أو باسـتخدام الهاتـف في أي مكان، أو عبر شاشـة ذكيـة متوفـرة داخـل المركـز، وذلـك يمكـن الباحـث من أمريـن في غايـة الأهميـة: الأول معرفـة الكتـب الموجـودة في المركـز والبحـث فيها بكل يسـر وسـرعة عبر الكلمـات المفتاحية أو أسـماء المؤلـفين، والثانية تسـهيل الوصول إليهـا، فـعبر الرمـز التسلسـلي للكتـاب الذي يظهـر في البحـث، يمكـن للقـارئ الـذي يزور المركـز الوصـول للكتـاب مباشـرة في دقائـق معدودة سـواء بنفسـه أو عن طريق المشـرفين المتوفريـن في خدمتـه.

خدمات الإنترنت والحاسوب

إلى جانـب ذلـك، يضـم مركـز الشـيخ علي الغريـاني للكتـاب قاعـات خاصـة بخدمـات الحاسـوب، يمكن للطلاب أو الباحـثين الذين لا يصطحبون حواسـيبهم المحمولة استخدامها مجانـا، وهـي متصلـة بالإنترنـت، كمـا يوفـر المركـز شـبكة إنترنت لاسـكية خاصـة بالزوار يمكـن لجميع مـن يرتـاد المركـز اسـتخدامها مجانـا، وذلـك إلى جانـب تقديم عـدد كبير من المحاضرات والمـواد العلمية الجاهـزة للنقل من حواسـيب المركـز إلى أجهزة الـزوار، وفي الجملة فـإن المركز يعـد أكثر المكتبات الليبيـة تقدما في مجـال اسـتخدام الأدوات الذكيـة في مختلف مرافـق المركز، مـن بوابات الدخـول، إلى قاعات المطالعـة والدراسـة، وحتى أرفـف الكتـب والمجلات.

خدمات فريدة للباحثين

التجديـد الذهـاب بعيـدا ومواكبـة التطور العـالمي الكـبير في مجـالات المعرفـة والبحث والعلـوم، هـي أهـم السـمات التي تربـط المجتمـع بالمكتبـات، ويعـد مركز الشـيخ علي الغرياني للكتـاب أنموذجا فريـدا في هذا الباب، وانطلاقـا مـن التزامه في دعـم الباحـثين، كان المركز أول مؤسسـة ليبية والوحيـدة التي تقدم خدمة الوصـول المجـاني إلى قواعـد بيانات دار المنظومة، وهـي المكتبة العربيـة الأضخم على الإطلاق في مجـال البحـث العلمي.

وتتيـح قواعـد البيانـات السـتة وصـولاً شـاملاً إلى مئات الآلاف من البحـوث العلمية، والرسـائل الجامعيـة، والدوريـات والمـجلات المحكمـة، وأعمال المؤتمـرات والنـدوات، كلها باللغـة العربية. وتشـمل هـذه القواعد قواعد متخصصـة مثـل قاعـدة المنظومـة للرسـائل الجامعيـة، EduSearch (تربوية)، EcoLink (اقتصاديـة)، HumanIndex (علـوم إنسـانية)، AraBase (لغـة وأدب)، بالإضافة إلى قاعـدة الكشـاف. وهذه الخدمـة تهدف إلى دعم الباحـثين في مختلف المجـالات بأهم وآخر الإنتـاج العـلمي العـربي، والارتقـاء بمسـتوى البحـث العـلمي في ليبيا.

للوصـول إلى هـذه القواعد والاسـتفادة منها لا يطلب مـن الباحثين سـوى التوجـه إلى مقر مركز الشـيخ علي الغرياني للكتاب، واسـتخدام شـبكة الإنترنت المجانيـة المتاحة فيـه. والبدء في البحـث والتصفـح والتحميـل، سـواء مـن خلال أجهزتهـم الخاصة أو باسـتخدام الأجهزة المتوفـرة في المركـز. تتـاح إمكانيـة تحميـل مـا يصـل إلى 200 ملـف يوميًا لكل مسـتخدم.

بيئة معرفية متكاملة

لا يعمـل مركز الشـيخ علي الغريـاني للكتاب كمكتبـة تقليدية، بـل كمنصة ثقافيـة وتنموية وفكرية نشـطة، حيـث يقـدم مجموعة واسـعة من الأنشـطة الهادفة إلى تطويـر المهارات والوعـي المجتمعي. ينظـم المركز دورات وورش عمـل متخصصة تشـمل التدريـب على مهارات تقنيـة ومعرفية ولغويـة، بالإضافة إلى نشـاطات حرفية. وعلـى الصعيـد الفكري والثقافي، يسـتضيف المركز محاضـرات عامة تغطـي قضايا معاصرة وفلسـفية إلى جانب تنظيـم جلسـات حوارية لمناقشـة كتـب وأطروحات فكريـة حول مواضيـع متنوعـة، وفعاليات خاصـة لقضايا الوطـن والأمـة، وعلى رأسـها قضية فلسـطين. كما يـولي المركـز اهتمامـاً خاصاً بالأطفـال والنسـاء من خلال تنظيم مسـابقات وورش عمـل موجهة لتعزيز القـراءة والتنمية الشـاملة.

التطور والتوسع

لـم تكد الذكـرى الخامسـة لتأسيس المركز تحـل، حتى صـار المركز الواحـد مركـزان، ففي خطوة هامـة ومميزة نحـو تعزيـز الحراك الثقـافي، أضاء مركز الشـيخ علـي الغرياني للكتاب سـماء طرابلـس بافتتاح فرعـه الجديد في منطقـة الظهرة بوسـط المدينـة، يوم السـبت الموافق 20 سـبتمبر 2025. لـم يكن هـذا الافتتاح مجـرد إضافة مكانيـة، بل كان تجديـداً للعهد بنشـر نور المعرفة والقـراءة والوعي الثقافي. رسـخ المركز مكانته بسـرعة قياسـية ليصبـح مَعْلَمـاً ثقافيـاً يضم اليـوم واحدة مـن أضخم المكتبـات العامـة في ليبيا وأكثرهـا زيارة، متجـاوزاً مفهوم المكتبـة التقليدية ليغـدو حاضنة رائدة للبحـث والتدريب وتطوير المهـارات، ومنظماً ومسـتضيفاً لمئات الدورات والـورش والنـدوات والأحداث على مـدار العام.

وهذا الانتشـار والتوسـع ليس وليد الصدفة، بـل رؤية وتخطيط وضع المركز أساسـه منذ انطلاقه، وسـيواصله إلى ما شـاء الله، وهي خطوة أولى سـتتبعها خطوات أكثر وأكبر.

شهران من التطوير والمعرفة

جانب من نشاطات مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب في نوفمبر وديسمبر

واصل مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب خلال شهري نوفمبر وديسمبر 2025 نشاطه المكثف، الذي يعكس دوره المحوري كحاضنة لتطوير المهارات والمعرفة، وتنوعت الفعاليات بين التدريب المتخصص في القطاعات المهنية، إلى جلسات الحوار المعمقة، وصولاً إلى دعم المبادرات التقنية الشبابية.

• عالم المال والاستعداد لسوق العمل

امتاز المركز بتركيزه الملحوظ على برامج التدريب التي تلبي احتياجات الشباب في سوق العمل، وفي هذا الإطار، انطلقت دورة بعنوان «افهم لغة المال... وابدأ طريقك نحو العمل في الشركات» التي قدمها الأستاذ رفيق قشوط، حيث مثلت تدريبًا شاملاً ومكثفًا لمدة تسعة أيام. ركزت الدورة على تزويد المشاركين بأساسيات المحاسبة وتطبيقاتها العملية باستخدام برنامج Excel، بهدف تمكينهم من إعداد القيود اليومية والقوائم المالية في بيئة عمل محاكية للواقع، مما يجهزهم بشكل مباشر للانخراط في العمل المؤسسي.

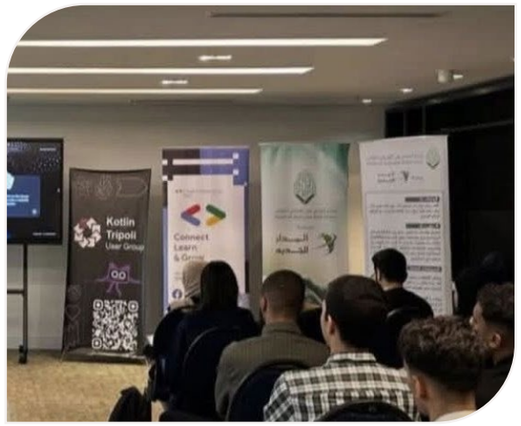

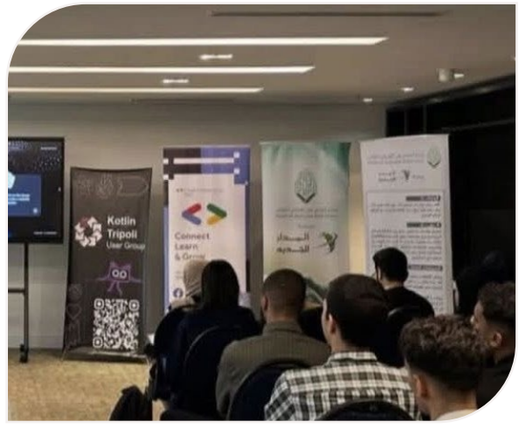

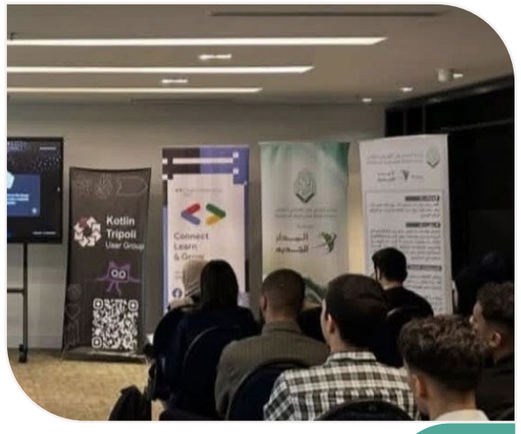

• إعداد التقارير الفنية

وانطلاقا من حرص المركز على دعم الكفاءات بالمهارات التقنية، قدم دورة بعنوان «كتابة التقارير الفنية (Technical Writing)»، بإشراف الدكتور حازم الزوبي من كلية الهندسة بجامعة طرابلس. استهدفت هذه الدورة طلاب السنوات النهائية في كليات الهندسة والعلوم التطبيقية، لتسليط الضوء على هذه المهارة الحيوية التي تعد من أهم مهارات التواصل المهني، وقدمت الدورة باللغة الإنجليزية، مع مزج الشرح باللغة العربية لضمان الاستفادة القصوى.

• عالم الصيدلة والمجال الصحي

وفي إطار الاهتمام المستمر بالقطاع الصحي ومهاراته ومعارفه، أقيمت في المركز دورة بعنوان «مبادرة التدريب الصيدلاني» والتي قدمتها الدكتورة نبيلة أبوهدرة على مدى ثلاثة أيام متفرقة في نوفمبر، حيث قدمت توجيهات عملية للصيادلة حول كيفية بدء التدريب في الصيدليات ومناقشة أنواع المسكنات وكيفية التعامل مع الحالات الشائعة التي لا تستلزم وصفة طبية (OTC) وغيرذلك من العناصر والمهارات المهمة في الصيدلة وعلومها.

• حوارات في التاريخ والتراث

يواصل مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب جلساته الحوارية الدورية، حيث استضاف جلسات ومبادرات عززت الوعي بعدة مواضيع فكرية وثقافية وتاريخية، وفي هذا السياق، عقدت جلسة حوارية متميزة حول كتاب «مدينة تاجوراء.. الأثر، التاريخ والناس» استضافت مؤلف الكتاب الأستاذ بشير الطاهر بريكة، مما فتح آفاقًا جديدة للنقاش حول الكتاب وموضوعاته التي تتناول التاريخ المحلي والهوية الثقافية لمدينة تاجوراء.

• جلسات ونشاطات نسائية

وانطلاقا من حرصه على التنمية الفكرية النسائية، نظم المركز سلسلة مجالس «خارطة المصلحات» لمدارسة كتاب «سبيل المصلحات»، بإشراف الأستاذتين آمنة الجازوي ومنى الشريف، وهي مجالس خاصة بالنساء عُقدت في فرع مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب بالظهرة، كما عقد المركز دورة متخصصة للإناث في «أساسيات التعليق الصوتي».

• شراكات لتعزيز الابتكار وريادة الأعمال

وتأكيداً لاهتمامه بالتقنية والابتكار، عزز مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب دوره هذا من خلال رعاية الملتقى التقني DevFest Tripoli 2025 – Mara. الذي عقد في فندق الأندلس بطرابلس، وسلطت فعالياته الضوء على أحدث التطورات في مجال تطوير البرمجيات وأدوات Google، وشجعت الشباب على الانخراط في البرمجة وريادة المشاريع التقنية.

وتجسد هذه المختارات من نشاطات المركز جزءا من استراتيجية مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب في بناء الكفاءات المهنية وإثراء الحراك الثقافي والاجتماعي في ليبيا.

الحق والحقيقة بين الفلسفة والسياق القرآني

بقلم: د. نزار كريكش

عندما قدم جاليليو نظرته للكون والشمس ومركزيتها، كذبت الكنيسة وأصر القساوسة على أن ذلك مخالف للكتاب المقدس الذي اعتقدوا من خلال قراءتهم أن الأرض هي مركز الكون؛ لم يكن جاليليو معاديا للكنيسة ولا يريد أن يتحداها حتى أنه طلب من رجل الدين أن ينظر في التلسكوب بنفسه ليعرف ما الذي يتحدث عنه لكنه رفض تكذيب معتقده. بعد ذلك، خشي كثيرون من إبداء آرائهم، وبدأت مدارس وملتقيات تحاول أن تتدرج في عرض الحقائق الجديدة على الكنيسة، مثل ما حدث مع ديكارت ومحاولته الفصل بين الروح والعقل، وإهمال الأولى لحساب الثانية. كانت مدرسة باريس إحدى المدارس التي تسعى للتدرج في إخراج النظريات الجديدة للعلن.

كان الخلاف الظاهر هو أن الأحاسيس التي نستقيها هي التي نصنع منها أفكارنا، وهؤلاء هم الذين ينفون فكرة ديكارت عن وجود نماذج مسبقة يولد بها الإنسان هي التي تحيط بعقله وتجعله يضع حدوداً لتجاربه. لكن مدرسة أخرى نشأت في ادنبرج في اسكتلندا كانت ترى أن التجارب التي نعيشها (الصور، الأحداث....) هي التي نصنع بها طرق تفكيرنا. لم يمنع هذا الخلاف من انتشار المنهج العلمي المعرفي للاكتشاف والبحث، لكنه تطور بعد ذلك لفلسفة لا تؤمن سوى بالرياضيات والكشف العلمي التجريبي، وهذه تسمى دائرة فيينا ومنها نشأ المنهج العلمي في القرن العشرين. بدت الحقيقة في كل مبحث علمي يحدد المفاهيم ويحسب الأرقام، حتى المنطق صار جزءاً من الرياضيات على يد برتراند راسل، كما أن انتقاداً لاذعاً لفلسفة القرن التاسع عشر أرسَته هذه الدائرة والتي منها كان أينشتاين وثيودور هرتزل وماكس بلانك وآخرون وضعوا البروتوكول العلمي الذي يدرس به الطلبة في كل جامعات العالم. في الستينات من القرن العشرين، وبعد فاجعة الحرب العالمية الثانية، لم يكن

هـذا المنهـج يقنـع كثيريـن، ببسـاطة لأنه لم ينجـح في أن يكـون العالـم مكانـاً أفضـل كما وعـدت كل هـذه الفلسـفات. ثـار الطلبـة في العالـم خاصـة في فرنسـا، وبـدأوا يبحثون عن فلسـفة جديـدة، كتـب تومـاس كـون كتابـه بنيـة الثـورات العلمية، والذي شـكك في وجود حقيقـة علميـة دائمـة وثابتـة، وأن الحقائـق العلميـة قـد تعجز عـن تفسير بعـض الظواهر ممـا يضطـر العلماء لتغـيير نماذجهـم المعرفية ونظرياتهـم التفسيريـة، انتشـر الكتـاب بين شـباب الجامعـات، وفهمـوا منـه كمـا قـال أحـد الطلبـة لتومـاس كـون: أنـت قلـت إن الحقيقـة العلميـة ليسـت ثابتـة قـال: نعم، قـال الطالب إذا لسـنا بحاجة لهم. جـاءت بعد ذلك فلسـفة مـا بعـد الحداثة وكتب ميشـيل فوكـو نظرته عـن السـلطة وأن هنـاك تداخلاً بين المعرفـة والسـلطة، وهكـذا بدأ التشـكيك في كثير مـن الحقائق وتحولـت الحقيقة إلى شيء نسـبي يمكـن أن يخضع لكـثير مـن الإكراهات والظـروف السياسـية والاقتصاديـة. الحـرب البـاردة كانت نموذجـاً صارخاً لتأثير السياسـة في إدراك الحقيقـة لأن الحـرب النفسـية والإعلاميـة بين القطـبين الـروسي والأمريكي اسـتمرت لعقود مـن الزمن تـبني حقائق علمية تدعم الرؤى السياسـية لهـاتين القوتين. إيفان بافلوف صاحـب نظرية ردود الفعل السـلوكية والتي اشـتهرت في تجربة الكلب الـذي يربط بين قطعـة اللحـم وصوت الجـرس، بافلـوف هذا كان أحد الأذرع التي حاول سـتالين اسـتخدامها للسـيطرة علـى المجتمع من خلال دراسـة ردود أفعاله والتحكم باسـتجاباتهم وفقـاً للمحفزات التي يختبرهـم بها.

في الولايـات المتحـدة كانـت المدرسـة السـلوكية تخطـو نفـس الخطـوات بدعم من مؤسسـة فـورد لإثبـات أنـه بـالإمكان معرفة ردود الأفعـال والتحكـم بهـا كمـا في نظريـة اللعبـة في العلاقـات الدوليـة. هـذا السـياق جعل الفلسـفة والسياسـة قريـنين لا يفترقان، لكن سـقوط الاتحـاد السـوفياتي أحـدث مالم يكن في الحسـبان، حين تبين بـأن كل مداركنا لا تنشـأ من العقلانيـة والتخطيـط الدقيق الذي كانت الحداثـة تدعيه، وهذا بعد ثـورة الإدراك التي بينـت تـأثير العاطفـة والأحكام المسـبقة علـى صناعـة القـرار وهـو سـائد الآن في هذه العلـوم، فهنـاك سـرديات وخلفيـات وتجارب وعواطـف وطموحات وأن الثقافـة والأهواء لها مكانهـا الأكبر في صناعـة السياسـة والتحولات الجيوستراتيجيـة.

لقـد عدنـا لمـا كان عليـه العالم قبـل ذلك، يتواضـع الإنسـان ولا يـدرك الحقيقـة كاملة. كان الحـق كمـا عنـد الجميع جزء مـن الأخلاق وأنـه لا فاصـل بين سـلوك الإنسـان والأخلاق التي يحملهـا، وأن الحقيقة تكمـن في التخلي عن تلـك الأهـواء والتحـرك وفقـاً لموازيـن العدل والصـدق الأخلاقي. عـودة الأخلاق تلك، عبرت عنها فيلسـوف الأخلاق الأسـكتلندي ألسـدير ماكنتايـر في كتابهـا مـا بعـد الفضيلـة التي شـرحت فيه كيف فشـلت هذه الفلسـفات في صناعـة نمـوذج أخلاقي كالذي عرفته البشـرية في العصـر المحـوري أو الثـورات الأخلاقية التي أحدثتهـا الأديان.

في السـياق القرآني سـنجد أن السـلوك يجب أن يبنى علـى وضـوح وهداية كما بينت سـورة النـور، وقارنـت بين الهدايـة وبين السـراب والظلمـات التي يعيشـها السـلوك المرتبـط بالأهـواء والتسـرع والخلفيـات الحاكمـة كالقبيلة والجهـة. والغريب أن التشـريع الذي سـبق السـياق في سـورة النـور، أكـد حقيقـة لـم تنتبـه لهـا تلـك الفلسـفات وهـي الفعل والعمـل والإطـار القانـوني والتشـريعي الذي يحمي الحقيقـة. راي بـاسكار صاحـب فلسـفة النقديـة الواقعيـة يـميز بين الحقيقـة المطلقة التي وجـدت قبـل الإنسـان والحق الـذي يمثل الأخلاق والواقـع الذي نعيشـه والـذي لا يمكن أن ندركـه إدراكاً تامـاً بمعارفنـا النسـبية، ينتبـه بـأن العقلانية يجـب أن تهبط لمسـتوى التشـريع والسياسـات، بمعنى أن التشريع هو الـذي يحمي الأخلاق (الحق) وهو الذي يسـمح بالتنـوع والتعـدد المعرفي، لذا سـنجد السـياق في سـورة النـور يضع ذلـك الحاجز الـذي يحجز الناس عن الإشـاعة والتنـازع وانحدار الأخلاق،

وفي هـذا السـياق يتحدث عـن النـور ووضوح الرؤيـة كإطـار يؤكـد أن كل هذه التشـريعات الأخلاقيـة جزء مـن النـور والقدرة علـى تجاوز الأهـواء والانحيازات المسـبقة.

يسـتمر سـياق سُـوَر كالفرقـان والشـعراء والنمـل والقصـص المتتاليـة، لبيـان هـذه الهدايـة التي تتجـاوز الصـراع الشـخصي كما في الفرقان، والأسـباب الخمسـة لعـدم إدراك الحقيقـة في قصـص سـورة الشـعراء كالـكبر والتقليـد والغـرور بالقـوة والترف والفاحشـة لنصل بعد ذلك لتأثير هذا السـلوك الشـخصي علـى رؤيـة الواقـع كمـا هـي سـورة النمـل. فسـياق السـورة يـبين أن الحـواس لـن يصل بهـا الإنسـان للحقيقـة التي يدعيهـا لنفسـه، لأنه كما قال تعـالى (إدَّارك علمهـم في الآخرة)، هذا التـدارك والمحدوديـة هـي التي يخدعنا بها البصـر عـن إدراك الحقيقـة. إن التحـولات الـكبرى التي شـهدها التاريـخ لـم تكـن لتكون لولا اكتشـاف حقيقـة التاريخ وأن الاسـتكبار والسـلطة لا يمكنهـا أن تملـك الحقيقـة، لأن الأخيرة مطلقـة لا يصلهـا الإنسـان مهما ادعى ذلـك، وأن وحدهـا العقائـد الثابتـة والأخلاق الراسـخة والـصبر علـى حـراك المسـتقبل هو الـذي يخضع الواقـع للحق ويحـرك التاريخ كما هـو سـياق سـورة القصـص. سـتظل أعمال البشـرية كسـراب بقيعه يحسـبه الظمـآن ماءً ما لـم تصـل لذلك المنهـج الأخلاقي الـذي يعبر بها مـن الواقـع للحقيقـة التي يسـنح بها عمر الحضـارة وترتضيهـا الأخلاق الإنسـانية.

هل التاريخ علم؟

بقلم: أ. محمد إلهامي

معنى «التاريخ» في اللغة العربية: تعريف الوقت أو الإعلام بالوقت. فالرسالة المؤرخة هي التي نعلم وقت كتابتها. ولكن هذا المعنى البسيط تطور ليدل على المعنى الواسع للتاريخ كما نفهمه الآن، من حيث أنه تسجيل لأحداث الماضي وسردٌ لها.

وقد تنوعت تعريفات التاريخ، وخلاصتها تدور على معنييْن؛ الأول: سرد الأحداث وتسجيلها. والثاني: سردها وتسجيلها بالإضافة إلى تفسيرها وتحليلها وتعليلها واستخلاص الفوائد منها. فقد وقع الخلاف فيما إن كان التفسير والتحليل داخلٌ في عمل المؤرخ أم لا، ولكن الواقع العملي أن عموم المؤرخين يساهم في التحليل والتعليل والتفسير ولو بالقليل.

ومن التعريفات الجامعة، تعريف ابن خلدون، الذي جمع بين السرد وبين التعليل والتحليل، يقول: «هو في ظاهره لا يزيد على أخبارٍ عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأُوَل، وتؤدي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يُعَدَّ في علومها وخليق».

وهـذه العبـارة الأخيرة مـن تعريـف ابـن خلـدون تفتح موضوعـا شـائكا:

1. هل التاريخ علمٌ أم فن؟

العلـم يُقصـد بـه غالبـا أنـه الأمـور التي تتمتـع بالدقة والصرامـة وانضباط القـوانين واضطرادهـا، ولا يختلف فيه الناس كـثيرا، ومثالهـا الواضح: العلـوم البحتـة التطبيقية كالطـب والهندسـة والفلـك ونحو ذلـك ممـا لا تختلف فيه الأنظـار ولا تختـل فيه القواعـد ولا يؤثر فيه دين الإنسـان أو مذهبـه أو هـواه. وأما الفـن فيُقصد بـه غالبا مـا كان يتأثر بموهبـة الإنسـان وانحيازاتـه وإبداعـه كالأدب بأنواعه من الشـعر والـنثر والقصـة وكذلك الرسـوم والموسـيقى ونحو ذلـك، فهـذا شـأن تختلـف فيـه الأذواق والميـول والمواهب والأنظار، وليسـت لـه قواعـد صارمة دقيقـة مطردة.

ولا يـزال الخلاف قائمـا حتى الآن مـا إن كانـت مجـالات البحث الإنسـانية، كالاجتماع والاقتصـاد والنفس والتربية وغيرهـا، كلهـا تسـتحق أن توصـف بأنهـا «علـوم» تتمتع بالدقـة والصرامة وثبـات القواعد والقـوانين؟ أم أنها يمكن أن تـسمى «علومـا ذات طبيعـة خاصـة»، بمـعنى أنها أدنى في مرتبـة الدقـة والصرامـة من العلـوم التطبيقيـة البحتة كالهندسـة والكيميـاء ومـن ثَـمَّ تُعامَـل كالعلـوم ولكن مع رعايـة طبيعتها الخاصة فيُتسـامح في مـعنى الدقة والضبط والاضطـراد ليتسـع الأمـر للخلافـات وتعـدد الأنظـار؟ أم أن الوصـف الأنسـب لهـا هـو الفنـون إذ وقوعهـا تحت هـذا الوصف أنسـب لاسـتيعاب تأثرهـا بالكاتـب والبيئة والظرف؟

إن الغـرب الـذي هيمنـت عليـه العلمانيـة والماديـة والنزعـة العلمويـة كان نزّاعًـا إلى وصف المجـالات البحثية بـ«العلـوم» حتى قبل أن تكتمـل لها أي نظريـات أو قواعد، وسـارع بعض الغربيين إلى اسـتعمال ألفاظ العلـوم البحتة في وصـف مجـالات البحـث الإنسـانية. ولأن الغـرب هـو الثقافـة المتفوقـة والغالبـة في العصـور الأخيرة فقـد تابعها علـى ذلك بقيـة الأمـم: إمـا بتأثـر المغلـوب بالغالـب، أو لطبيعـة أن الغالـب يفـرض ثقافتـه ومناهجه علـى الأمم التي هيمـن عليها.

بينمـا إذا نظرنا إلى هذا المعنى عند العلماء المسـلمين وجدنا

تخففـا، فالغالـب أنهم يسـتعملون لفظ العلـم والفن بمـعنى واحد، وابن خلدون نفسـه يقـول عن التاريـخ «فن عزيز المذهـب» ويقول كمـا قدَّمنـا في التعريـف «جدير بـأن يُعَـدَّ في علومها وخليـق»، ولما كتـب الكافيجي كتابه «المختصـر في علم التاريخ» اسـتعمل فيه لفظ العلم ولفـظ الفن بمـعنى واحد. ولما كتـب حاجي خليفة موسـوعته للتعريـف بالعلـوم والمؤلفـات فيهـا سـمَّاها «كشـف الظنـون عن اصطلاحات أسـامي الكتـب والفنون».

ولا يهمنـا خـوض هـذا النقـاش الفلسـفي الطويـل والمعقـد عن تعريف العلـم وخصائصه ومـدى انطباق ذلك علـى مجالات البحث الإنسـاني، وهـذا السـجال المحتـدم بين كـون التاريـخ علمـا أو فنا أو شـيئا بينهمـا يكاد يكـون مشكلـة مقتصرة علـى البيئـة العلمية الغربية، وبعضهم جعلهـا مشكلة عند الناطـقين بالإنجليزية وحدها!

ولهذا فإن خلاصة ما يهمنا هنا أن:

– التاريـخ علمٌ مـن حيث أنه يكشـف عن المجهول كبقيـة العلوم، ومن حيث إمكانية اسـتخلاص الـسنن والقـوانين والطبائع منه عبر دوراتـه المتكـررة وأحداثه المتشـابهة، ومن حيث أنه يتنـاول الحقائق التي حدثـت ويتعامـل مـع وثائـق ونقـوش ومـواد ملموسـة وليس إبداعا من الخيـال والعاطفة كالأدب والرسـم.

– ثـم هو فـنٌ من حيث أنـه لا يمكن اسـتخراج سُـنَنِه علـى هيئة معـادلات رياضية صارمـة ودقيقة، ومـن حيث أنه متأثـر ومصطبغ بفهـم المؤرخ وتفـسيره وانحيازاتـه وبيئته وموقعه مـن الحدث، ومن حيث عدم خضـوع ظواهره للتجربـة والملاحظة الشـاملة على نحو ما يجـري في المعمل إذ هـو لا يمكن إعادتـه وتكراره، ومن حيـث أن مادته الأصليـة من الوثائـق والنقوش وغيرهـا لا تقدم غالبا الصـورة التامة الدقيقـة ممـا يُحتاج معـه إلى الاجتهـاد لمـلء الفراغات وتوقـع ما قد كان.

وبعـض النـاس قنـع أن المجالات الإنسـانية لـن تـصير علوما لها ذات الدقـة والصرامـة كالهندسـة والفلك، وبعضهم لا يـزال يحاول، وبعضهم لا يـزال يتمنى.. ومـا علينا من هـؤلاء الآن؛ فهذا الخلاف في كـون التاريـخ علما أم فنـا لا تكاد تكون لـه ثمرة عمليـة، وإنما ذكرناه لاحتيـاج الداعيـة والقـارئ إلى فهـم مـعنى الخلاف في الموضوع، وأمـا الذي يهمنـا وينبني عليه عمـلٌ فهو موضـوع نتناوله إن شـاء الله في المقال القادم.

فلسفة التاريخ والوعي الليبي

بقلم: د. نجاح بن زايد

تواجه ليبيا اليوم أزمة في علاقتها بتاريخها، ليس بسبب غياب السرد التاريخي، بل نتيجة افتقاره للتأويل الفلسفي؛ فالتاريخ يُستدعى في الخطاب العام كأرشيف قبلي أو مادة للاتهام، وليس كحقل للتفكير النقدي تتجلى هذه الأزمة في التراكم التاريخي، بعيدًا عن عقل النقد وروح المصالحة؛ أي تراكم للسرديات والأحداث دون أدوات تأويل قادرة على تفكيكها. والنتيجة أن الوعي الجمعي يعيش في حالة تكرار مستمر، يعيد فيها إنتاج الماضي نفسه بأسماء وصور جديدة، وكأن الزمن الليبي لا يتحرك إلا في دائرة مغلقة من إعادة التمثيل والاتهام والتبرير.

يقول هيجل في كتابه فلسفة الحق: «إن بومة مينيرفا لا تطير إلا بعد أن يحلّ الظلام»، أي إن الفلسفة لا تبدأ إلا بعد انقضاء الفعل وانتهاء الحدث، حين يتحول الزمن إلى تأمل. لكن في السياق الليبي، يبدو أننا لم نسمح لبومة مينيرفا أن تطير أصلًا؛ فما زال التاريخ يُخاض بعواطف المنتصر أو عواطف المظلوم، دون أن يُتاح للعقل الناقد أن يتدخل.

وفي ظل غياب هذه المسافة الضرورية بين الحدث والفكر، يتلاشى الأمل في بناء رؤية نقدية تتجاوز الانفعال الآني إلى الفهم العميق للماضي وأثره في الحاضر يؤكد ابن خلدون في مقدمته أن «المغلوب مولع أبدًا بتقليد الغالب»، وهي ملاحظة تنطبق على الواقع الليبي بوضوح، إذ لا يكون التقليد مقتصرًا على المظاهر الاجتماعية فقط، بل يمتد إلى أنماط التفكير والسلطة وآليات التهميش. نحن لا نعيد إنتاج الماضي فقط، بل نستنسخ النماذج المهزومة ذاتها بوجوه جديدة في بُنى قبلية وجهوية. وهنا تكمن مأساة التاريخ الليبي المعاصر؛ فهو يعيش تحت هيمنة الذاكرة، وليس في وعيها، حيث تتحول الذاكرة إلى أداة لإعادة إنتاج التوتر بدل أن تكون وسيلة للتحرر منه.

من يتأمل التاريخ الليبي الحديث، خاصة بعد عام 2011، سيلاحظ تكرار النزاعات ذاتها بأشكال مختلفة. كل مشروع مصالحة أو انتخابات هو، في جوهره، إعادة سرد لسرديات التقسيم والصراع، لا يتجاوز الخلاف بأي شكل من الأشكال. فالمصالحة في صيغتها المتداولة تتحول إلى شعارات سياسية أكثر من كونها فعلًا ثقافيًا أو وعيًا تاريخيًا.

ويمكننا هنا الإشارة إلى فشل لجان المصالحة المتعددة في تحويل التوصيات إلى ممارسات واقعية، بسبب غياب رؤية فكرية تؤطر الذاكرة المشتركة. حتى في الميدان الثقافي، ما زال الخطاب العام أسير ثنائية «الشرق والغرب» أو «الثورة والنظام السابق»، دون تجاوزها إلى سؤال أعمق عن طبيعة المواطنة والهوية الجامعة.

يذكرني هذا بما جاء في كتاب الذاكرة، التاريخ، النسيان لبول ريكور، والذي يقول فيه: «إن التاريخ لا يبدأ من الحياد، بل من الاعتراف بالجرح». الجرح هنا ليس مجرد ألم، بل شرط للمعرفة. ومن دون مواجهة الذاكرة بكل ما تحمله من عنف وظلم واستبعاد، لا يمكن بناء مصالحة حقيقية.

وهذا ما نحتاجه في ليبيا اليوم: شجاعة الاعتراف بدل التجميل السياسي، ومصارحة الذات بدل اللجان الشكلية التي تُفرغ المصالحة من معناها الأخلاقي. الجرح بهذا المعنى ليس ما يُخفيه المجتمع، بل ما يكشف حدود وعيه بنفسه. وبالتالي، تكون كل محاولة لإخفائه هي ببساطة تمديدًا للأزمة دون تجاوزها.

في هذا السياق، يمكن الاستفادة من تجارب البلدان الأخرى؛ على سبيل المثال: تجربة جنوب إفريقيا في لجان الحقيقة والمصالحة سنة 1995، التي حولت الاعتراف إلى ممارسة اجتماعية علنية، وقامت على العدالة التصالحية بدلًا من العدالة العقابية. أو التجربة المغربية في الإنصاف والمصالحة سنة 2004، التي ربطت بين الجرح والذاكرة الثقافية، واعتمدت على الحقيقة التصالحية بدلًا من الحقيقة القضائية. وكلاهما أمثلة واضحة على توظيف فلسفة الاعتراف لتجاوز التاريخ الجريح نحو أفق وطني جامع.

غير أن تجاوز الأزمة الليبية يتطلب أكثر من المقارنات؛ فهو يستدعي بناء علاقة جديدة مع التاريخ، تقوم على الفهم لا على التبرير.

ويمكننا، في هذا السياق، اقتراح عدة مسارات

أولًا: إعادة بناء الخيال التاريخي عبر التعليم والإعلام.

إدماج فلسفة التاريخ في المناهج التربوية، بما يعني تطوير طريقة التفكير في الماضي بوصفه سؤالًا فلسفيًا، لا مادة للحفظ. يمكن للمدارس والجامعات أن تنشئ وحدات دراسية تربط بين التاريخ والفكر النقدي، وأن تشجع الطلبة على دراسة شخصيات ليبية من زوايا تحليلية جديدة، مثل علاقة السنوسية بالحداثة أو تحولات الهوية في المدن الحدودية. أما الإعلام، فبإمكانه أن يلعب دورًا مهمًا في تحويل البرامج الوثائقية والتاريخية إلى فضاءات للنقاش النقدي حول الهوية والذاكرة، بدل أن تبقى مساحات استقطاب سياسي.

ثانيا: خلق فضاءات للحوار الفلسفي والتاريخي عبر دعم الجمعيات والمؤسسات الفكرية التي تضم مؤرخين وفلاسفة ومفكرين، لتفعيل النقاش حول الذاكرة الوطنية والمصالحة بوصفهما مجالين للفكر، لا للعاطفة السياسية. يمكن لهذه المؤسسات أن تنظم منتديات فكرية دورية تجمع بين الأكاديميين وصناع القرار والفاعلين الاجتماعيين، بحيث تتحول الفلسفة إلى وسيلة لصياغة سياسات عامة قائمة على الفهم النقدي للماضي، لا على العاطفة أو الأيديولوجيا.

ثالثًا: دعم البحث العلمي والنقدي بتشجيع الدراسات الأكاديمية التي تتناول التاريخ الليبي من منظور فلسفي متعدد السرديات، بعيدًا عن الخطاب الأحادي أو الانتماء الجهوي. ويشمل ذلك تمويل مشاريع بحثية ميدانية في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية لرصد تحولات الهوية في المجتمع الليبي المعاصر، بحيث يُعاد قراءة التاريخ المحلي بوصفه تجربة إنسانية، لا صراعًا سياسيًا. كما يمكن إنشاء مراكز بحث متخصصة في «دراسات الذاكرة الليبية» على

غرار المراكز الدولية المهتمة بالعدالة الانتقالية والتاريخ الشفوي.

رابعًا: التفكير في إعادة تأويل الرموز الوطنية والتاريخية لإحياء الخيال الجمعي كركيزة للهوية المشتركة، بعيدًا عن الفرقة والانقسام. فإعادة قراءة الرموز لا تعني تسييسها من جديد، بل تأويلها فلسفيًا بوصفها علامات على إمكان الوحدة رغم الاختلاف، كما هو الحال في تجارب شعوب استطاعت أن تصنع من رموزها ذاكرة مشتركة تتجاوز حدود الجغرافيا والانتماء.

لا يمكن للمصالحة الوطنية أن تقوم، بأي حال من الأحوال، على طي الصفحات دون قراءتها؛ فكل مصالحة لا تعبر من بوابة النقد هي تسوية مؤقتة، وليست تجاوزًا للتاريخ. لأن الفهم الفلسفي للتاريخ لا يقتصر على إعادة كتابة الوقائع، بل يتطلب إعادة تأصيل السرديات الكبرى التي شكّلت وعينا الجماعي، وتحريرها من منطق التبرير إلى منطق الفهم ولعل قيمة التفكير التاريخي تكمن في قدرته على إنتاج مسافة تأملية بين الذات وزمنها، بحيث لا تعود أسيرة الحدث، بل قادرة على قراءته واستيعابه.

ويبقى السؤال الفلسفي مطروحًا: هل نستطيع، كليبيين، أن نؤسس فهمًا فلسفيًا للتاريخ يحررنا من كوامن الماضي ويمنحنا القدرة على بناء مستقبل نقدي متصالح؟ وهل نملك الشجاعة لإعادة صياغة سرديتنا الوطنية بما يتناسب مع تطلعاتنا نحو العدالة والمعرفة؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة لا تكمن في إعادة كتابة التواريخ، بل في إعادة التفكير في معنى التاريخ نفسه، وأن نعي أن الزمن ليس ما مضى، بل ما يمكن أن يُعاد تأويله في ضوء الحاضر والمستقبل. ومتى ما طارت بومة مينيرفا في سماء ليبيا، سيكون الإعلان عن ميلاد الوعي الفلسفي بتاريخنا.

المصالحة الوطنية مقصد شرعي

بقلم:أ. عادل المحروق

تتبـوأ المصالحـة مكانة رفيعـة في صرح المقاصد الشـرعية، والقواعـد المعتبرة في الشـريعة الإسلامية؛ إذ إنهـا مقصد من المقاصـد التي عُني بهـا الإسلام وأرسى أطنابها في نفوس المسـلمين، فأصبحت ضرورة حياتيـة، ومطلبًـا شـرعيًا، ومـن دونها تهـدر القيـم، وتضيع الحقـوق، ويعم الفسـاد، ويـزداد العناد، وفي ظلّهـا تصـان الحقـوق، وتحفـظ الكليـات الخمس المتفـق علـى حفظهـا وصيانتها بين سـائر الملل والشـرائع، فلا يمكن أن تصان المقاصـد الأخر، كالحرية، والعـدل، والكرامة إلا بإرسـاء السلام الذي هو ثمـرة المصالحة، وأثرهـا العظيم.

إن الناظـر في مدونـات علمـاء المقاصـد يجد أنهـم ربطوهـا بالتنـظير الاجتماعـي، وتنظيـم علاقاته، وجعلوهـا ذا غايـات عملية تهم المسـلمين في حياتهـم الاجتماعية الراهنـة، فغاية الشـريعة الإسلامية هـي مصلحة الإنسـان كخليفـة في المجتمع الذي هـو منه، وكمسـؤول أمـام الله الذي اسـتخلفه؛ على إقامـة العدل والإنصـاف، وضمـان السـعادة الاجتماعيـة، والطمأنينة النفسـية لكل فـرد في المجتمع، وهـذا لا يمكن تحققـه إلا في ظل التسـامح والتصالـح، وإهالـة التراب على أسـباب الفرقـة والتقاتل.

لا جـرم أن المقصد العام من التشـريع هو حفظ نظام الأمة، واسـتدامة صلاحه، والمسـتقرئ لنصوص الشـريعة الغـراء الدالة علـى مقاصدها من التشـريع، يسـتبين له مـن كلياتهـا وجزئياتهـا أن صلاح المجتمـع والمصالحة بين مكوناته المتنازعة يتسـنم سـلم الأولويـات، وأعلى المقاصد والغايـات، كما قرر ذلـك ابن عاشـور، وقد تولد عـن هذا المقصـد الكلي العظيـم جملة من المقاصـد الفرعيـة التي أنهدها: السـلام، والعدالة، والتسـامح، والمسـاواة، حيث إنهـا تهدف جميعهـا إلى مقصد جليل به ينتظم شـأن حياة الناس واسـتقرار شـؤونهم، وصلاح أحوالهم.

ولأهميتهـا في تقريـر مقصد المصالحة شـدّد المشترع في الاعتنـاء بها وحفظهـا، وندّد بمن شـطر عنها، ومـن هنـا أدرك أرباب المقاصـد مكانتهـا وأهميتها فبسـطوا الحديث عنها، فابن عاشـور مـثلا أفرد لها مسـاحة عريضة من مؤلفاتـه المقاصدية التي أقامهـا علـى ركيزة الإصلاح الاجتماعي.

لا يخفـى أن المصالحـة الوطنيـة من أهـم الركائـز الاجتماعيـة التي يتحقـق في ظلها كثير مـن المقاصد الشـرعية، وتصان وتحفـظ في كنفهـا الكليات الخمـس المتفق على حفظهـا، فالمقاصـد في الإسلام على

تنوع أقسـامها واخـتلاف وسـائل إثباتها ومسـتوياتها، تـؤوب جميعهـا إلى مقصد كلي جامـع عُبّر عنه بـ» جلـب المصالح ودرء المفاسـد « وهذا يلتقي مع ضـرورة اعتبار مقصـد المصالحة الوطنيـة، ويقودنا إلى إبـراز جملة من المقاصـد والحكم المتحققـة في كنفها، ومن تلكـم المعاني والحكـم الملحوظة والمقاصد المعـتبرة المتعلقة بمقصـد المصالحة ما يـأتي بيانه.

– مقصـد تحقيق الـسلام: الذي هو من مقتضيـات المصالحة وأس من أساسـاتها، ولأهمية هذا المقصد العظيـم الذي نجـم عن المصالحـة، أفرد علال الفـاسي في مقاصـده حيزًا واسـعًا للحديث عـن أهميته، فجعلـه مقصـد الإسلام الأعظم، وأوجـب علـى المجتمعات الإنسـانية جميعهـا الاتفاق الـدولي العام علـى تحريم الحـروب وإقرار الـسلام وضمانـه، ومقاومـة كل السـبل التي تمس به وتـؤدي إلى الحرب،

ونادى بفرضية مقاومة كل تطاحن يقود إلى القتل في سبيل المال أو الفكر داخل المجتمعات، وحماية كل فرد أو جماعة أثناء قيامها بواجبها أو تمتعها بحقها، وقد ساق ابن عاشور جملة من الأدلة على هذا الأمر، ثم يذيلها بقوله: « فهذه أدلّة صريحة كلية دلّت على أن مقصد الشريعة إصلاح هذا العالم وإزالة الفساد منه، وذلك في تصاريف أعمال الناس ».

ومن مؤكدات الصلة الوثيقة بين المصالحة والسلام أن الله سبحانه سمّى الصلح سلمًا، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً والسلم المسالمة والانقياد والتسليم، فيطلق على الصلح والسلام، وعلى دين الإسلام، وقد فسّره بعض المفسرين بالصلح، وبعضهم بالإسلام، وأيا كان؛ فإن أساسها الاستسلام لأمر الله والإخلاص له، ومن أصولها الوفاق والمسالمة بين الناس، وترك الحروب والقتال بين المهتدين به، واللفظ يشمل جميع معانيه التي يقتضيها المقام.

– مقصد إقامة العدل: لا قيام لمجتمع إلا بالعدل، ولا عدل إلا في ظل مصالحة تامة، قال ابن تيمية: « وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم: أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة؛ ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة » وقد تكرر ذكره في القرآن الكريم في كثير من المواضع، حيث أمر به سبحانه في جميع المعاملات وكافة المجالات، وفي مطلعها الحكم بين الناس الذي هو أساس بسط السلام وحصول الأمن فقال: وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ والعدل هو التسوية، وأطلقه هنا للدلالة على التسوية النافعة التي يحصل بها الصلاح والأمن.

ولأهميته أشاد الله سبحانه بالمجتمع العادل وقرّظ أهله قائلا: وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ وقال تعالى: وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ فالمتأمل لهذه الآيات يجد اتصالًا وثيقًا بين العدل والحق الذي يسهم في إرساء المصالحة والسلام وفرضهما على الناس؛ إذ هو المساواة بين الناس أو بين أفراد أمة في تعيين الأشياء لمستحقها، وفي تمكين كل ذي حق من حقه بدون تأخير، فهو مساواة في استحقاق الأشياء وفي وسائل تمكينها بأيدي أربابها.

ومن دلائل اعتبار مقصد العدل وأنه من المقاصد المركزية في الشريعة الإسلامية، تحريم الظلم، فالنصوص التي تأمر المسلمين بالابتعاد عن الظلم أكثر من أن تُحصى في هذا المقام، لكن الناظر فيها والمتعامل معها، ينجلي له أن في الشريعة الإسلامية نظامًا كاملاً، لإقامة علاقات اجتماعية بين مكونات المجتمع المسلم، على وجه تندفع به كلّ الأمراض، التي تَنْخر كِيَان مجتمعاتنا.

– مقصد حفظ الحقوق: لا ريب أن هذا المقصد من أجل المقاصد للإنسانية جميعها، وتزداد الحاجة إلي تحقيقه كلما عصفت بالناس المحن، وانتشرت فيهم الإحن، وطغا عليهم حب الذات والمصلحة الشخصية، مما أدى إلى هضم الحقوق وإهدارها، وتغليب مكّون الواجب على مكون الحق؛ من هنا أولت الشريعة الإسلامية لهذا المقصد عناية كبيرة، وأعطت كل ذي حق حقه، فكان في مطلعها حق الإنسان في الحياة، من خلال حفظ نفسه ماديًا ومعنويًا، فعصمت جسمه بجميع أعضائه من الإتلاف، كما صانت كرامته وأفكاره الذهنية، ومعتقداته الدينية، وكفلت له حقه الثقافي، والاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والمدني؛ بل إن الشريعة الإسلامية جعلت مقصد حفظ الحقوق المقصد الأول الذي ترجع إليه سائر المقاصد الأساسية، فالناظر للمصالحة في الإسلام يجدها تتغيا إخراج إنسان متحرر، ليس في جسده فحسب، وإنما متحرر أيضا في فكره ورأيه؛ لذا جعلت التعبير عن الرأي حق من جهة صاحبه، وواجب من جهة مصلحة المجتمع والناس كافة.

– مقصد الحفاظ على الجماعة ووحدتها: ليس بخاف أن الحفاظ على الجماعة من المعاني والحِكم الملحوظة للشارع في جميع تشريعاته؛ إذ الإسلام دين اجتماعي له دور ريادي في تحقيق مصالح الإنسان وحقوقه، فالجماعة والاتحاد لا تقوم في الوجود والواقع إلا برعاية وتحقيق المصالحة بين أطرافه المتنازعة.

إن اجتماع الناس وتقاربهم مظنة النزاع والتنافر؛ لما جبلت عليه النفوس من التنافس والتدافع بسبب اختلاف الأهواء، وتنوع الرغبات، الأمر الذي يفرض المصالحة والتوفيق بين تلك النفوس، وهذا ما أكدته النصوص القرآنية والنبوية الآمرة بوجوب ملازمة الجماعة، وما يلزم لها من المصالحة، وتجريم وتحريم مجهضاتها، قال تعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا.

ليبيا وصلتها بمشروع الشرق الأوسط الجديد

بقلم:
أ. أحمد المهذب

معلوم بأن مشروع الشرق الأوسط الجديد قام على نظرية الفوضى الخلاقة التي طرحتها الإدارة الأمريكية في سياق تبرير احتلالها للعراق وقد أعلنت عن ذلك بشكل علني واضح وزيرة الخارجية الأمريكية «كونداليزا رايس» أثناء حكم بوش الابن والسؤال الذي يطرح نفسه هل في مخطط الأمريكان اليوم إلحاق ليبيا بمشروع الشرق الأوسط الجديد الذي تعمل الإدارة الأمريكية ومعها بعض دول الغرب من أمثال بريطانيا وفرنسا وألمانيا مع محاولة إيجاد موضع لهم فيه للحفاظ على عملائهم في ليبيا .

من خلال ما نراه شاهداً على الساحة الليبية

يتأكد لنا أن أمريكا تعمل على ضم الساحة الليبية إلى مشروعها « الشرق الأوسط الجديد « ولذلك نراها تعرقل الحلول الجادة لحلّ المسألة الليبية وتعمل على الإبقاء على حالة الاحتراب بين الأطراف المحلية، على أن لا يصل هذا الاحتراب إلى مرحلة إلغاء بعض الأطراف المحلية فمن المهم في نظر الأمريكان بقاء حالة العداء بين هذه الأطراف والحيلولة دون أن يتغلب أحدهم على البقية، ولذلك جاء التدخل التركي على أثر الوجود الروسي في البلاد عبر « الفاغنر « الذين أتى بهم حفتر عميل أمريكا إلى البلاد وأشركهم في حربه على كتائب الغرب الليبي فكان الإذن بدخول تركيا بسلاحها وقواتها إلى الساحة الليبية بضوء أخضر من أمريكا إلى جنب قوات الغرب الليبي للمساعدة في هزيمة حفتر وإرجاعه إلى منطقة سرت فقط.

إن الذي يجري في ليبيا منذ سنة 2011 ليس وليد الظروف المحلية فقط بل يبدو عليه أنه جزء من مشروع أمريكي يتعلق بالمنطقة كلها يعرف باسم مشروع الشرق الأوسط الجديد، فكانت نظرية « الفوضى الخلاقة « لخدمة هذا المشروع، ومن مقتضيات هذا المشروع كما يراه الأمريكان ضرورة تفكيك ما يسمى « بالدولة الوطنية والقطرية « وإعادة تشكيل مؤسساتها السياسية والاقتصادية على أسس تخدم المستعمر الأمريكي وربطها به فقط ويتضح هذا في ما يجري في السودان وسوريا واليمن الآن والعراق قبلهم.

وهذا التفكيك لما يسمى بالدولة الوطنية يقوم على إلحاق القطع الناتجة عن ذلك بمنظومة التبعية لهذا المستعمر الأمريكي بحجة السعي « للإصلاح والديمقراطية «.

وعليه لابد من إيقاظ المخلصين الموجودين على الساحة على ضرورة وعيهم على ما يحاك للبلاد حتى ولو كان ما يعرضه الغرب عبر بعثة الأمم المتحدة ظاهره الرحمة من مشروع « الإصلاح والديمقراطية « في حقيقته هو العذاب بعينه. وما لم يتعظ المخلصون مما حصل الآن في فلسطين وغزة والسودان وما كان قبلها في العراق فلا واعظ له بل يجب عدم الاستماع إليه وعدم السير خلفه، وقد يسأل سائل فما العمل إذاً ؟! وكيف السبيل للخلاص من هذا الواقع ؟!!

فنقول وبالله الاستعانة:

1) لابد من توحيد الآراء حول وحدة البلاد وعدم قبول التجزئة والإنقسام.

2) العمل على توحيد السلاح وجعله تحت إمرة واحدة وقيادة واحدة مخلصة .

3) العمل على توحيد القرار الاقتصادي وجعل القرارات والتشريعات تركز على السيادات المالية وسحبها من يد المرتزقة والتابعين لأجهزة الغرب والأمريكان بشكل مخصوص.

4) العمل على تحقيق العدالة في القانون بين المواطنين والعدالة في الإنفاق على كل المناطق والناس الذين يحملون التابعية.

5) بناء جهاز إداري مهني بعيداً عن الولاءات المناطقية وبعيداً عن الولاءات المتعلقة بأشخاص معينين، وهذا لا يتم إلا بعد وجود منظومة قانونية صحيحة تساوي بين حاملي التابعية جميعاً وذلك لا يتم إلا بالاعتماد على منطق الأحكام الشرعية في ذلك .

6) العمل على البعد عن الأشخاص والجماعات المرتبطة بالغرب وفلسفته في الحياة التي تقوم على «النفعية» كيفما كانت والتي تؤمن بفصل الدين عن الحياة.

7) بثّ الشعور بأن الأمة الإسلامية أمة واحدة و «المسلم أخو المسلم» وأن حدود سايكس بيكو هي «قيود» وضعها المستعمر الغربي على عباد الله في زمن الضعف والخضوع، للحيلولة دون تعاونهم وتعاضدهم، وحتى لا يندفعوا لنصرة إخوانهم.

8) العمل على رفع مستوى الخطاب الإعلامي بحيث يواكب قضايا الأمة المصيرية كقضية تحكيم شرع الله وقضية فلسطين من حيث أنها « قضية إسلامية » ولا تخصّ أهل فلسطين وحدهم.

9) رفع مستوى الخطاب على صفحات الشبكة العنكبوتية بحيث يكون خطاباً فكرياً ومحاصرة منطق التفاهة المنتشر الآن على أغلب الصفحات الإلكترونية الفردية وحتى المجتمعية منها بحيث تصبح هذه الصفحات وسيلة للرُقي بالجماعة والمجتمع.

10) اعتماد إعلام مقاوم للأفكار الهابطة والأفكار الغربية التي تحط من قدر الإنسان والعمل على تشكيل الوعي الجماعي ضد مشاريع الغرب التفكيكية سواء أكانت على أساس مناطقي أو اثني عنصري يخدم مشاريع التفكيك والتجزئة من أمثال مشروع فصل الغرب الليبي عن شرقه ومشروع فصل الأمازيغ وفصل التبو عن المحيط العربي.

11) ضرورة لفت أنظار العامة إلى أن الحياة الكريمة على هذه الأرض هي للكبار و للوحدات البشرية الكبيرة والأمم وليست للقبائل الصغيرة، فها هي أمريكا تسيطر على العالم نتيجة حجمها وقوتها وها هي الصين وأوروبا تتوحد رغم اختلاف أقطارها في كل شيء في اللغة، والدين، والأعراق، وليس لها من عوامل الوحدة سوى «الوضع الجغرافي» والليبيون باعتبارهم شعباً جزءاً من شعوب المسلمين فإن الذي يجمعهم أمر عظيم، الامتداد الجغرافي والدين واللغة والأعراف الاجتماعية والثروات المتواصلة والمتنوعة التي تلبي حاجات المجموعة البشرية الهائلة في هذه البلاد فهي لا تحتاج إلا إلى تفعيل فكرتها التي كلّفها الله بها. وحباها بها.

إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ، اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا .

طـــــوفان القلـــــم ... رحلة في «مجتمع الثبات»

قراءة في كتاب: (مجتمع الثبات في معركة طوفان الأقصى) للدكتور: أسامة الأشقر

مقال بقلم: أ. عزام بحر

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل رحمة وهاديا وداعيا لكل الأمم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

الحدث المفصلي ... السبت الحاسم ... نقطة التحول ... المحطة قبل الأخيرة في درب التحرير، كل هذه الأسماء وغيرها يصح لك أن تطلقها على هذه الملحمة المباركة: معركة طوفان الأقصى، ولن تكون مبالغا أو مطبّلا إن زدت في وضع أسماء لهذه المعركة؛ فقد كان وما زال وسيظل لطوفان الأقصى الأثر الكبير في قلب موازين العالم أجمع، ليس فقط قضية فلسطين أو ما حول فلسطين من بلاد العرب والمسلمين، وإن حدثا ضخما بحجم الطوفان لن يقتصر تأثيره على مجال واحد أو ساحة واحدة من ساحات التأثير كالساحة العسكرية أو السياسية، بل سيتعداها ليكون مؤثرا، بل صانعا لموجات وارتدادات له في عديد المستويات، المعرفي والثقافي والدعوي والكثير الكثير.

ولأن الطوفان المبارك قد علمنا أن لا نتكئ إلى وسائل النصرة التقليدية وننشغل بها عن الواجب الأساس، وهو الجهاد بالقتال والمال، فقد يتساءل البعض: ما بالنا لم نتعظ بالطوفان المبارك ولم نخرج من قوالب النصرة التقليدية وبقينا أسرى لقيودها فصرنا ممن يتغنى بالطوفان قولا، ويهجر الاتعاظ والانتفاع به سلوكا وعملا؟

أقول والله الموفق: إن الخروج من قوالب النصرة التقليدية كالكتابة ونشر الوعي والمقاطعة وما شابهها لا يعني تركها بالكليّة، بل المطلوب حقيقة أن تكون هذه الوسائل سلّما لما هو أعلى منها (الجهاد بالقتال والمال) وتكون هذه الوسائل رافدا وداعما للجهاد لا شاغلة عنه ولا مثبطة ومخدّرة، وبالاصطلاح النبوي الشريف: إن هذه الوسائل ينبغي أن تكون في دائرة: (تحديث النفس بالغزو) حتى تؤدي الغرض منها وتنقل المرء إلى دائرة (الغزو) أي الجهاد في الميدان، ومتى كانت وسائل النصرة صادّة عن الجهاد أو ملهية عنه فهي لا تؤدي المطلوب منها ولا يُرجى فيها الخير، وهذا الفهم هو الأقرب لما أراده رجال الطوفان الأبرار الذين هم معلمونا وأساتذتنا في المفاهيم والسلوكيات.

وعوداً على تأثير الطوفان في عدة مجالات: فإن المجال الثقافي والمعرفي لم يكن بمعزل عن هذا التأثر

بطوفان الأقصى المبارك، بل كان له نصيب وافر من التأثر بعديد المقالات والكتب والمواد الثقافية المرئية والمسموعة التي زادت بيان قيمة الطوفان وأهميته وواجب الجميع في هذا الطوفان، وإن كثيرا من الأعمال الفكرية والدعوية والعلمية التي نراها عقب الطوفان لم تنشأ وتكتمل لولا بركة الجهاد في سبيل الله وبركة المسجد الأقصى المبارك وبركة الطوفان المنبثق عنهما، وقد صار لزاما على كل طامح لموطئ قدم في عزة الإسلام والمسلمين قريبا أن يستثمر هذا الطوفان وما أنتج فيه من كتب وجهود مقدرة مشكورة لننشئ معا جيل النصر والتمكين الذي يحمل راية الإسلام ويُعليها فوق كل راية تعاديه.

قد تكون سئمت عزيزي القارئ من المقدمات السابقة، أبشرك أني سأدخل بك موضوعنا المقصود لذاته، أو على الأقل: أننا على أعتابه الآن.

موضوعنا هو أحد الأعمال المؤَفَّقة التي ظهرت في ظل الطوفان المبارك: كتاب جمع عشرات المقالات التي قال عنها مؤلفها أنها «خلاصة دراسات وأوراق ومقالات ومرافعات انتظمت كلها في سياق طوفان الأقصى»، هو كتاب: (مجتمع الثبات في معركة طوفان الأقصى) للدكتور: أسامة جمعة الأشقر.

ولمن لا يعرف د. أسامة الأشقر بإيجاز: فهو من فلسطينيي سوريا، ولد في اللاذقية عام 1970م، وانتقل في صغره مع عائلته إلى مدينة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ودرس فيها من المرحلة الابتدائية حتى تخرج من كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية في المدينة، ثم أكمل الماجستير والدكتوراه في السودان، عمل د. أسامة أستاذا بجامعة الخرطوم بالسودان بين عامي 1997م – 2005م، ترأس تحرير المركز الفلسطيني للإعلام بين عامي 1999م – 2005م، ويترأس حاليا منتدى الأكاديميين الدولي لقضايا القدس الذي يقع مقره في إسطنبول بتركيا، للدكتور عدة كتب منها: (فتوح فلسطين – مقامات السائرين لنصرة الأقصى وفلسطين – البركة مقوماتها ومنازلها بين مكة وبيت المقدس – أرواح الطوفان) وكتابنا الذي نخوض فيه هذه الرحلة القصيرة: (مجتمع الثبات)

وأصل الكتاب مجموعة مقالات كان ينشرها د. أسامة عبر حسابه على منصة (فيسبوك) تزامنا مع أحداث طوفان الأقصى، جمعها بعد مرور عام على بدء المعركة، ونشرها عبر منتدى الأكاديميين الذي يترأسه، وكان التنفيذ والطباعة عبر مؤسسة الفرسان بعمّان – الأردن، صدرت من الكتاب طبعة واحدة في عام 1446 هـ / 2025م.

وإن شئت المرور سريعا على بعض العناوين الجذّابة التي تضمنها الكتاب – وما أكثرها، فخذ منها: (حدثيني بالغزو – أطعمونا من غبار كرامتكم – طوفان أبي بكر – لا نملك إلا الدعاء! – رصيد الجراح – خفافا وثقالا – عبادة المراغمة المنسية – البدريون في زماننا – رماد الخذلان – أمة تحت الاستبدال – الشهيد السعيد – ميلاد ثورة الطوفان) ولهذه العناوين المميزة أخواتها الكثيرة بين دفّتي الكتاب.

ورحلتنا في هذا الكتاب ستقتصر على بعض المواضيع التي تكرر وتناثر ذكرها في الكتاب مع شيء من الاقتباس من عبارات المؤلف.

صدى الطوفان:

لقد بني الكتاب كليًا على أن هذا الطوفان المبارك له صدى واسع المدى وتأثير جذري اليوم وغدا وبعدهما في كل أرجاء الدنيا، وكان من أبرز أصداء الطوفان وآثاره فينا: المجتمع المنغرس في أرضه بأكناف بيت المقدس، وما قدمه من صمود أسطوري أذهل الجميع؛ وكان من أسباب ذلك: الفهم المغاير لبعض القيم الكبري في المجتمع الفلسطيني بقطاع غزة، من ذلك أنه «تَغَيَّر مستوى النظر للموت والحياة، أي مستوى النظر للزمن، فلا قيمة للزمن أو للحياة مع وجود المحتل، وترتفع قيمة الحياة بتناقص وجود المحتل، وأصبحت الشهادة مكافئة للزواج والميلاد في الفرح العارم وتحويله إلى مشهد حياة وانتصار، فحدث هنا ضبط اجتماعي أدى لمفاعيل غير متوقعة في إعادة صياغة قيم المجتمع واتجاهاته واهتماماته»، وقد كان من أبرز شواهد صدى معركة الطوفان وتأثيرها أنها «أعادت للمجتمع الفلسطيني أما العالم أصول قضيته الأولى، وهي أنهم شعب محتل شرّد من أرضه، وأن قصة الكارثة لم تبدأ يوم السابع من أكتوبر، بل قبل ذلك بأكثر من سبعين عاما»، ليس هذا

فحسب، بل كان من صدى الطوفان أنه أزاح عن أذهاننا وهم (الجيش الذي لا يقهر) و(القبة الحديدية) وما شابه ذلك من انهزام نفسي أمام العدو تهاوى مع عبور المجاهدين لحدود القطاع إلى أرضنا المباركة التي احتلت عام 1948م.

الطوفان والوحي:

لو لم يكن لطوفان الأقصى أثر إلا أنه جدد فينا تدبر نصوص الوحي واستحضارها في واقعنا لكفى، فإن الناظر في القرآن والسنة وفي الطوفان ومجرياته سيجد تطابقا عجيبا بينهما، وسيجد الطوفان دافعا نحو الرفع من قيمة التدبر والتأمل في نصوص الوحي وربطها بالواقع سلوكا وعملا، ومن شواهد ذلك ما تحدث عنه المؤلف ضمن وقفته مع الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «مَن ماتَ ولَمْ يَغْزُ، ولَمْ يُحَدِّثْ به نَفْسَهُ، ماتَ علَى شُعْبَةٍ مِن نِفاقٍ.» [أخرجه مسلم]، حيث قال: «وحديث النفس بالغزو يعني أن تلحّ عليها وتقنعها بقصد المشاركة بالقتال بنفسك أو مالك أو محل قدرتك وخبرتك وتعظيم أدوارك.

وحديثك مع نفسك لا يعني أن تأتيك الخاطرة، ثم تدفنها بسلوك لا ينتمي إليها، بل يعني أن تستعد للمستقبل وتخبر نفسك بجدية أنك تحب القتال والمقاتلين؟، وتتشوق إلى مشاركتهم والانخراط في صفوفهم، وتدافع عنهم وتذب عن أعراضهم» اهـ.

وقد نقل المؤلف معنى موفقا للعز ابن عبد السلام، حيث قال ضمن توقفه مع الحديث الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا يَجْتَمِعُ كافِرٌ وقاتِلُهُ في النَّارِ أبَدًا.» [أخرجه مسلم]، قال المؤلف: وقد وجدت هنا كلاما بارعا لسلطان العلماء العز ابن عبد السلام فتأمله مرارا، يقول: (إنما لم يجمع الله بين الكافر وقاتله في النار من جهة أنه محا كفره من الأرض)».

الطوفان والمفاهيم:

من بركات الطوفان ومحاسنه: أنه أعاد صياغة مفاهيم كانت مشوَّهة في أذهاننا، ومن أبرزها وأكثرها تسببا في لمز المجاهدين والطعن فيهم والشعور باليأس: مفهوم النصر، وقد كان للمؤلف كلام حول هذا المفهوم، حيث قال: «واعلموا أن النصر المراد في الآيات والنصوص لا يعني الغلبة والظفر، بل هو من مقتضياته؛ لأن أصل معنى النصر هو الإعانة، والنصرة حسن المعونة، والاستنصار هو استمداد المعونة، فنصر الله هو عونه لعباده وغوثه لهم، فهل ترون أن نصر الله قد حلّ بأولئك المقاتلين وحاضنتهم بهذا الثبات الذي ترونه، وهذا الصمود العجيب، وهذه المبادأة الاستراتيجية التي قلب معادلة الصراع، وأسست لعهد جديد!»

في الإسناد والعمل لفلسطين:

لم يترك المؤلف القراء في زوايا التنظير عن الطوفان حتى وهو أمر طيب، بل كان له أكثر من مقال يبين فيه بعض طرق وآليات العمل المساند للجهاد والمجاهدين، من ذلك ما كتب تحت عنوان: (ماذا نفعل مع الدعاء؟) اختط فيه مسارا واضحا في 5 نقاط لمن أراد العمل لفلسطين خلاصتها:

1. البحث عن ما لدينا من قدرات وإمكانيات
2. البحث عن ما لدى غيرنا ممن نستطيع الوصول إليهم من قدرات
3. التركيز على الأفضل منها
4. بناء خطة عملية مرتكزة على ما سبق
5. اختيار قيادة تتابع العمل والخطة

دور الأمة:

لا يختلف اثنان على أن طوفان الأقصى كان يمكن أن تكون له نتائج وثمرات أكثر إبهارا وتأثيرا من التي حققها – ولسنا نقلل منها أو من قيمتها فهي ثمار كبرى وقيّمة – لو كان الأمة حاضرة وفاعلة في الطوفان، لا أن تكون بين داعم قليل ذات اليد والإمكانات، وبين مثبط مخذل يحجب ما عنده من إمكانات عن تسخيرها لنصرة الحق، وقد كان للحديث عن أهمية دور الأمة وسوء عاقبة الخذلان نصيب جيد من الكتاب، من ذلك ما قاله المؤلف عن سبب عدم قدرة المقاومة على استثمار انتصاراتها في حروبها السابقة ضد الاحتلال، فقد «خاضت المقاومة الفلسطينية المعاصرة حروبا شرسة انتصرت في أكثرها، لكن الظرف السياسي المحبط لأمتنا حرم المقاومة من استثمارها سياسيا»، وقد أكد المؤلف على أن المجاهدين والمرابطين ببيت المقدس وأكنافها هم رأس الحربة والصف الأول في محاربة الاحتلال الصهيوني والمشروع الغربي المعادي للإسلام، وأننا جزء من هذا الصراع ولسنا مجرد داعمين أو مساندين، بخلاف ما شاع بين كثيرين «أن أطراف المعركة هما الفريقان المتقاتلان، وأن النصر مرتبط بغلبة أحدهم على الآخر بظهور كاسح أو موازنة نقاط، ولكن الحقيقة أن كل فريق هو طليعة لأمة وحضارة»، ولأن لكل حضارة وأمة قادتها الذين يصوغون أفكارها وتصوراتها، وأن الأساس في نهضة أي أمة هو مفكروها وعلماؤها، فقد كان غياب شطر كبير من علماء الأمة سببا رئيسا في الخذلان، وأشار المؤلف لذلك حين تحدث عن سبب عدم نفيرنا قائلا: «وإنما يزهد عامة الناس لقلة من يرون ممن علم ذلك ثم لم يعمل لما علم، فهل أنتم فاعلون!»

قد تكون رحلتنا معا في هذا الكتاب قد انتهت، لكن يجب أن لا يكون هذا المقال آخر عهدك بالكتاب، فبين دفتي الكتاب عبارات ومعانٍ يصعب نقلها وحصرها في هذا المقال، ولا يتوصل إليها إلا بقراءة الكتاب وتفهّم ما فيه من كنوز ومفاهيم.

إدمان الألعاب الإلكترونية لدى المراهقين الأسباب والآثار وسبل الوقاية

بقلم:
أ. زينب الفنداق.

شهد العصر الحديث طفرة هائلة في مجالات التكنولوجيا الرقمية، وتوسعًا غير مسبوق في انتشار الألعاب الإلكترونية التي غزت البيوت والمدارس والهواتف الذكية، حتى أصبحت جزءًا من تفاصيل الحياة اليومية، ولا سيما في أوساط المراهقين. ولم تعد هذه الألعاب مجرد وسيلة للترفيه أو قضاء وقت الفراغ، بل تحولت لدى كثيرين إلى نمط سلوكي قهري يسيطر على أوقاتهم واهتماماتهم، ويؤثر في شخصياتهم وصحتهم النفسية والاجتماعية والدراسية. ومن هنا برزت الحاجة إلى دراسة هذه الظاهرة الخطيرة، والوقوف على أسبابها وآثارها، وسبل الوقاية منها ومعالجتها.

تُعدّ الألعاب الإلكترونية إحدى أبرز مظاهر العولمة الثقافية والتكنولوجية، إذ أسهمت التطورات التقنية في جعلها أكثر جاذبية وتفاعلية من أي وقت مضى، من خلال الرسوم ثلاثية الأبعاد، والقصص المشوقة، وأنظمة المكافآت التي تحفز اللاعب على الاستمرار، غير أن هذه الجاذبية التقنية تحمل في طياتها جانبًا مظلمًا حينما يتحول اللعب من نشاط ترفيهي بريء إلى إدمان سلوكي يفقد فيه الفرد السيطرة على وقته وسلوكه، فينغمس في اللعب لساعات طويلة دون وعي أو تقدير للعواقب.

تشير الدراسات النفسية الحديثة إلى أن إدمان الألعاب الإلكترونية يشترك في خصائصه مع أنواع الإدمان الأخرى من حيث الشعور بالنشوة المؤقتة، ثم الرغبة في تكرار التجربة، ففقدان السيطرة، وأخيرًا ظهور أعراض الانسحاب عند التوقف عن اللعب. وتُظهر الأبحاث أن من أبرز أسباب هذا الإدمان الشعور بالفراغ والملل، والرغبة في الهروب من ضغوط الواقع أو من الفشل الدراسي والاجتماعي، إضافةً إلى ضعف الرقابة الأسرية، وقلة البدائل الترفيهية المفيدة، فضلًا عن جاذبية التصميم النفسي للألعاب الذي يعتمد على الإثارة والتحدي والمكافآت المتكررة.

ومن الملاحظ أن كثيرًا من الشركات المصممة للألعاب الإلكترونية توظف خبراء في علم النفس والسلوك البشري لبناء منظومات تشجع على البقاء أطول مدة ممكنة داخل اللعبة، من خلال مستويات متتالية لا تنتهي، ومكافآت رقمية تشبع لدى المراهق حب الإنجاز والبطولة . ومع غياب التوجيه الأسري والرقابة الواعية، يجد المراهق نفسه أسيرًا لعالم افتراضي بديل يمنحه شعورًا زائفًا بالتحكم والنجاح، بينما تتدهور في الواقع علاقاته الأسرية ومستواه الدراسي وصحته الجسدية والنفسية.

لقد أظهرت نتائج عدد من الدراسات الميدانية أن الإفراط في استخدام الألعاب الإلكترونية يؤدي إلى ضعف التركيز، والقلق والتوتر، واضطرابات النوم، والعزلة الاجتماعية، بل ويمتد أثره إلى تدهور التحصيل الدراسي، وتراجع الدافعية للتعلم والعمل . كما لوحظ أن بعض المراهقين يربطون

هويتهم الشخصية بشخصيات الألعاب التي يجسدونها، فيعيشون حالة من الانفصال عن الواقع، ويصعب عليهم التفاعل الإيجابي مع من حولهم. وهذا ما يجعل الظاهرة أكثر تعقيدًا من مجرد تسلية زائدة عن الحد، فهي تمسّ بنية الشخصية وتؤثر في تكوينها النفسي والاجتماعي.

وفي مواجهة هذه التحديات، تبرز مسؤولية الأسرة بوصفها خط الدفاع الأول في وقاية الأبناء من الإدمان، فالرقابة الواعية ليست قيدًا على حرية الأبناء، بل هي حماية لهم من الانزلاق إلى سلوكيات تضرّ بنموهم النفسي والعقلي، ويبدأ العلاج من داخل البيت عبر تنظيم أوقات اللعب، وتحديد أوقات فراغ مناسبة، وتشجيع الأبناء على أنشطة واقعية تنمي مهاراتهم الإبداعية والاجتماعية، كالمطالعة والرياضة والأعمال التطوعية . كما ينبغي أن يُبنى الحوار الأسري على الثقة والمشاركة لا على المنع القسري، حتى يتعلم المراهق إدارة وقته وتحمل مسؤوليته تجاه ذاته ودراسته.

أما المدرسة، فهي شريك أساسي في عملية التوعية، إذ يمكنها من خلال الأنشطة الثقافية والبرامج التربوية أن تعززلدى الطلبة الوعي بخطورة الاستخدام المفرط للألعاب، وتشجعهم على بناء علاقات واقعية قائمة على التعاون والتفاعل الإيجابي . ومن المهم أن تدرج المؤسسات التعليمية مفاهيم «التوازن الرقمي» ضمن برامجها التربوية، لتعليم الطلبة كيفية استخدام التكنولوجيا بطريقة مسؤولة ومعتدلة.

كذلك فإن دور المختصين النفسيين والتربويين لا يقل أهمية، إذ تقع على عاتقهم مسؤولية إعداد برامج إرشادية للأسر والمعلمين، وتقديم استشارات عملية تساعد على اكتشاف حالات الإدمان مبكرًا، ووضع خطط علاجية تراعي الفروق الفردية والبيئات الاجتماعية المختلفة.

ومن الجانب الديني والأخلاقي، فإن الإسلام قد سبق إلى وضع منهج شامل في بناء الشخصية المتوازنة التي تجمع بين متطلبات الجسد والروح والعقل، فقد أمر الله تعالى بالاعتدال في كل الأمور، فقال: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، ودعا إلى حماية الأبناء من كل ما يضرّ دينهم وأخلاقهم، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:» كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» . وهذا يؤكد أنّ التربية الدينية الواعية هي الأساس في توجيه الأبناء نحو الاعتدال والانضباط في استخدام التكنولوجيا، وغرس القيم التي تقيهم الانحراف والإفراط.

إن إدمان الألعاب الإلكترونية ليس ظاهرة فردية عابرة، بل قضية مجتمعية تتطلب تعاون الأسرة والمدرسة والمؤسسات التربوية والإعلامية في وضع استراتيجيات وقائية متكاملة، والعلاج الحقيقي لا يكون بالمنع المطلق، بل ببناء وعي متزن يقوم على التربية والإقناع والحوار، فحين يُربّى الأبناء على قيم المسؤولية وضبط الذات، ويتعلمون أن التكنولوجيا وسيلة لا غاية، يمكن حينها أن تتحول هذه الوسائل الحديثة من خطر يهدد الأجيال إلى أداة بناء وتطوير تخدم الإنسان والمجتمع معًا.

الإنسان والذكاء الاصطناعي إلى أين؟!

بقلم:
عبدالعظيم الجهاني

أريد الكتابة عن لزوم الحَذَرِ من التَّقدمات التّكنولوجية الحديثة. وهذا الموضوع مُهِمٌّ نظرًا لاسْتِحْوَاذِ الآلاتِ الحديثةِ على حياة النّاس ولم يكن للأوّلين تجربة كتجربتنا اليوم.

وليست غاية المقال الصَّدّ عن كُلِّ أنواع التكنولوجيا والتَّحْذِير منها مُطلقاً بل المُرادُ إبانةُ وِجْهَة نَظَرٍ حَذِرَةٍ تُعَبِّرُ عَنْ قَلَقِ الكاتب في مدى تأثيرها وسُهولةِ قَبُولِ النَّاسِ لها.

من يحكم على نجاح الاختراع؟

قَصَّ أفلاطون في كتابه (الحوار فيدروس) حوارًا خَيَالِيًّا بين مُخترع القَلَمِ والمَلِكِ (تاموس)، حيث قَدَّمَ المخترعُ اختراعَه وادَّعى ألمعيةَ ما جاء به وزعم أنّه سَيُمَكِّنُ البَشَرَ من حفظ مَعَارِفِهِمْ. أجابه الملكُ قائلاً: (ليس من شأن المُخترعِ أن يُخبرَنا بِفَوَائِدِ

اختراعِه بل على غيرِه الَّذين يَشهدون آثارَ الآلةِ الحديثةِ أن يفعلوا ذلك." ثُمَّ أضاف الملكُ أنّ ما تظنّه خيرًا يا أيّها المَخترعُ هو في الحقيقة شرّ، لأنّ الكتابة ستُؤدِّي إلى ضَيَاعِ المعرفة لا حِفْظِهَا، إذ سيتوقّف الناسُ عن الاعتماد على ذاكرتهم، ولن تَصْدُرَ المعرفةُ من بواطنهم بل من خارجهم.

الجانب المثير من هذه القصّةِ أنّنا نجد المخترعين يكتفون بذكر الجوانب الإيجابية لابتداعاتهم، ونادرًا ما يتطرّقون لآثارها الجانبيّة أو عَوَاقِبِهَا السَّلبية.

التَّغَيُّرُ الغربيّ تّجاه الاختراع

كان النّاسُ يَحذرون الاختراعَ الجديدَ، حيث كانت دلالته سلبيّة في اليُونانِ القديمة والعالم الإسلامي. فقد قال نبيّنا ﷺ: (إيّاكم ومُحْدَثَاتُ الأمور) لأنّ الدِّينَ بطبيعته مُحَافِظٌ يُريد بقاءَ الأصلِ ويَحذر من الأمور المُزَعْزِعةِ للاستقرار الحادث حين تتغيّر المُجتمعاتُ بسرعة مفرطة.

والفيلسوف والمؤلّف المشهور في القرن السادس عشر الميلادي (نيكولو مِيكَافِيلِي) كان أوّلَ من وضع رؤيةً إيجابيّةً للاختراع في الفكر الغربي، ومِنه بدأ التَّحَوُّلُ الحقيقيّ في تَطَلُّعِ الغَرْبِ إلى الابتكار، حيث أصبح يرى الإبهارَ في التَّغْيِيرِ في حَدِّ ذاته بِغَضِّ النّظر عن مآلاته.

النّظر في مآلات التّكنولوجيا الحديثة

يُوجد في الفقه الإسلاميّ مَبْدَأ عظيمٌ يُعبّر عن التّوازن في تقييم التّغير وهو ما يُسمّى بالنّظر في العواقب، أي التّأمّل في ما يترتّب على الأفعال والسّياسات من نتائج مستقبلي

والذين ينصرون كُلَّ تَطَوُّرٍ تكنولوجيّ يقولون لنا إنّكم لن تستطيعوا وقف عَجَلة التّقدم ولن تقدروا رَدَّ الزّمن إلى الوراء، وهذا يَفترض نقطتين خطيرتين: الأولى: أنّ التّقدم الماديّ نتائِجُهُ كُلُّهَا خَيْرٌ

مطلق، وثانيًا: أنّ هذا التّقدمَ قوةٌ لا تُقاوَم، وعلينا أن نستسلم له.

وأودُّ التّنبيه أنّ في التاريخ شواهد تنقض هذين الافتراضين

المثال الأوّل على ذلك: وَاجَهَ اختراعُ السّيّارة رفضًا كبيرًا في المُدُنِ لإزعاجها وصخبها، ولكن مُخترعوها قالوا إنّها - بالنّظر للبيئة - أنظف وأصفى من الخُيول! والآن ننظر لدعوتهم بِتَهَكُّمٍ لِمَا نعلمه من الكارثة البيئيّة الّتي تُواجه الجنس البشريّ بسبب إنتاج ثاني أكسيد الكربون من السّيّارات، ومع ذلك فقد كان اختراع السّيّارة بِدايَةً لسلسلة من التّحوُّلات البيئيّة والاجتماعيّة غَيْرِ المُسبقة.

المثال الثاني: في سنة 1589م حَاوَلَ مُخترعُ انجليزيّ (ويليام لي) أن يُقنع الملكةَ إليزابيث الأولى بدعم آلة الخِيَاطَةِ الّتي صَنَعَهَا، أيّده وُزراءُ الملكة وطلبوا منها أن تُسهم أموالَ التّاجِ في إنشاء مصنعٍ لإنتاجها.

رفضت الملكةُ وقالت: "إنّي أَحنُّ إلى شعبي الفقير الذي يَقْتَاتُ من الخِيَاطَةِ، ولن أُقدِّمَ مَالاً لِدَعْمِ اختراع يُؤدّي إلى خرابهم بِحِرْمَانِهِم من العمل."

والمثال الثالث في هذا الشأن: بعد ما أُدخل المُسدّس الطّويلُ إلى اليبان في سنة 1543م، أصبح اليابانيّون من أَمْهَرِ صُنَّاعِهِ وطَوَّروا آلات حربية أخرى. ومع ذلك قام ثلاثةٌ من رؤساء العسكريّين اليابانيّين الّذين وحّدوا الإمارات المتحاربة في البلاد بِحَظْرِ استخدام السّلاح الناريّ كُلِّيًا.

ولمدة ثلاثمائة عام، اختارت اليابانُ أن ترفضَ هذه التكنولوجيا بإرادتها. وكانت أسبابُ هذا القرار، أوّلاً: أنّهم رَأَوْا في السّلاح النّاري وسيلةً قاسيةً وغَيْرَمشرّفةٍ للقتال، وثانيًا: أنّه جعل من المُمْكِنِ لفلاّح بسيط أن يَقْتُلَ سَامُورَايًا أمضى عشرين عامًا في إتقان فُنون القتال.

علاقة التّكنولوجيا بالأمراض النفسيّة المرتفعة حول العالم

يُعاني الإنسانُ المعاصرُ مِنْ مَرَضِ التّشتّت، الذي أدى إلى أزمة هَائِلَةٍ في الصّحة النفسيّة العالميّة، وأرى السّببَ الرئيسيّ هو نوعُ التكنولوجيا الّتي يتعرَّضُ لها شبابُنا ويُنشؤون في ظِلِّها.

على سبيل المثال، الولايات المتّحدة تمرُّ بأزمة مخدر (الفنتانيل) الذي يقتل نحو خمسين ألف أمريكيّ في السّنة. وقد ذكّرنا كارل ماركس عندما قال: "الدّين هو تنهيدة المضطّهد، هو قلب عالمٍ لا قلب له، مثلما هو روح وضع "شروط" بلا روحٍ، إنّه أفيون الشّعب."

التّكنولوجيا الحديثة أصحبت أفيون الشعوب

لم يكن ماركس هنا يُهاجم الدّين بقدر ما كان يسعى لِفَهْمِ سبب حاجةِ النّاس إليه، والحاجة تعود إلى أنّ الدّينَ يُخَفِّفُ آلامَ الوُجودِ في هذا العالَمِ القَاسِي الشَّرِس.

وإن غاب الدّينُ مِنْ حياة النّاس فسيبحثون عن بديلٍ يُخدّر آلامَهم النفسيّةَ ويُصبح الأفيون نفسُه أفيونَ الناس، سواءٌ على الصّورة الحقيقيّة كالمُخدِّر أفيون، أو مجازًا كالتكنولوجيا الحديثة التي تُعطّل وعيهم وتُشَتِّتُ أفكارَهم.

التّكنولوجيا الحديثة وخُدَعُ آخر الزّمان

حذَّرَنا نبيُّنا الكريمُ ﷺ مِنْ فِتَنِ آخر الزّمان، وأخبرنا عن قدوم المسيح الدجّال وأنبأنا أنّه سَيَخْدَعُ النّاسَ في إظهار ما يبدوا خيراً وحقيقتُه

شرّ، فيأمر السَّماءَ أن تُمطرَ فتمطر، ويأمر الأرضَ أن تُنبت فتُنبت فيصدّقه النّاسُ ويُؤمنون به. تَأمّل أيُّها القارئ في سُهولة خِدَاعِ النَّاسِ اليَوْمَ من خِلالِ الذّكاء الاصطناعيّ فكيف بأعظمِ فِتنةٍ عَرفتها الدُّنيا وهي خُروجُ الدَّجالِ؟

قال ﷺ: (وإنّ من فتنته أنّ معه جنّةً ونارًا، فَنَارُهُ جنّةٌ، وجنّتُهُ نَارٌ) وهذا وَصْفٌ مُذْهِلٌ لواقعنا المُعاصر ويَحمل عِبَرًا تدعونا للتَّفكُّرِ الجَادِ في آثار هذه التكنولوجيا الحديثة وإلى أين تَقُودُنَا.

تساؤلات عن الآثار البعيدة للتّكنولوجيا الحديثة

إذا زُرْنا الأماكنَ العامّة نرى النَّاسَ جميعًا مُنْكَبِّينَ مُنْحَنينَ على شَاشَاتِهِمْ وفي هذا المشهد تَغَيُّرٌ جَوْهَرِيٌّ خِلالَ فَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ جِدًّا.

ولذلك يجب أن نُقبلَ على التَّغْيِيرِ بِتَأمُّلٍ وَحَذَرٍ، لِأَنَّ كُلَّ تَغَيُّرٍ سَرِيعٍ قَدْ يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ خَطَرًا خَفِيًّا.

لا أَحَدَ مِنَّا يَعْلَمُ إلى أين تَسِيرُ الإنسانيّةُ وَلَكِنَّا في حاجةٍ للتّفكرِ الجَادِ في مَخَاطِرِ الذّكاء الاصطناعيّ وفيما سَيَفْعَلُهُ النَّاسُ حِينَ نَنْتَقِلَ إلى عالَمٍ مُختلفٍ عن الّذي نحن فيه. والسُّؤال الآخرُ الّذي يتبادر للذّهن: مَنِ المُستفيدُ الحقيقيّ مِنْ هذه التّكنولوجيا الحديثة؟ وفي حالة إلغاء ملايين مِنَ الوظائف بسبب الذّكاء الاصطناعي كيف سَيَتَأَقْلَمُونَ لذلك؟ وما الغايةُ من وجودنا حين تختفي الحياة مِنْ مَعَانِيهَا؟

الإعلام والعقل العربي

بقلم:
د. جمعة محمود

تعود القارئ الكريم ، أن يقرأ لي في بعض الصفحات أو المواقع ، كتابات حول بعض أعلام ليبيا من الفقهاء والقضاة والمفتين وغيرهم ، كما قد يلاحظ المتتبع لما أكتبه اهتمامي بالرحالين الليبيين فقد تناولت عدداً منهم ، وهو تراث أدبي فكري لم يجد الاهتمام الكافي ، فكما نهتم بما كتبه الرحالون عن بلادنا ، فيجب ألا نغفل عما كتبه الليبيون في رحلاتهم لمختلف البلاد الأخرى ، ولا يزال في جعبتي بعض هذه الرحلات التي اعتزم الكتابة عنها بإذن الله تعالى ، كما كانت بعض الكتابات تدور حول القانون أو الدراسات والبحوث القانونية .

أما في هذه المرة فيبدو أن عنوان المقال بعيد عن ذلك ، فهو يدور حول الإعلام ومن منا يجهل هذا المرفق المهم في الحياة العامة ، أو لا يعرف قيمته وأثره في حياة الإنسان سواء أكان مواطناً عادياً أم مثقفاً ؟ ، ومن يخفى عليه الدور الذي يقوم به في السياسة المحلية أو الدولية ، وأنه سلاح خطير يتم توجيهه لخدمة عدة أغراض ، وتستخدمه الدول المتقدمة لتحقيق أهدافها ، وخدمة سياساتها المعلنة والخفية ، ولكن تناول الإعلام من كافة جوانبه على النحو السابق يحتاج إلى مجلدات ضخمة ، لذلك رأيت في هذه العجالة أن أتناول علاقة الإعلام بالعقل العربي فقط .

فالإعلام والعقل العربي ليس موضوعا تراثياً ولا فقهياً ولا قانونياً ، وإنما هو حالة يعيشها المواطن العربي في الوقت الحاضر ، بل إنها تعايشه يومياً ، وأينما ذهب ، وذلك من خلال الوسائل المتعددة لهذا الجهاز الخطير الذي يسمى الإعلام ، ولقرب التصاق تلك الوسائل التي يستخدمها الإعلام ، يستطيع كل مواطن أن يتناولها بالحديث ، وهذا الموضوع مقتبس من كتاب أصدرته يحمل نفس العنوان ، ومن كتابات بعض أدباء ليبيا ومفكريها وغيرهم ، ودوري هنا هو تناول بعض الملاحظات ، أو إثارة بعض النقاط حول هذه الظاهرة التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتنا .

فالحديث عن الإعلام والعقل العربي يستدعي تعريف الإعلام والثقافة والعلاقة بينهما وتأثير ذلك في العقل العربي ، وذلك بالقدر الذي يسعفنا فيه الوقت والمساحة المخصصة لهذا المقال ، وسوف استعين بأقوال بعض المفكرين من الليبيين وغيرهم في توضيح بعض الأفكار المتعلقة بهذا الموضوع .

فالإعلام وسيلة من وسائل الاتصال بالجماهير بصرف النظر عن أجناسها ولغاتها ومعتقداتها ، ويكون ذلك بأساليب متعددة ، منها القديمة ، كالكتابة والطباعة والرسم والنحت ، والأغاني والمسرح وما إليها من فنون ، ومنها الحديثة التي جاء بها التقدم العلمي كالكمبيوتر وشبكة المعلومات ووسائل الاتصال الإلكتروني وغيرها ، فكل هذه الوسائل إنما تخاطب الإنسان ، وتجعله المتلقي لكل ما تدفعه من معلومات ومخترعات وفنون وآداب ومواد علمية أو ثقافية ، ويتم ذلك بعدة طرق ، منها

العرض الحي والصوت المسموع والصورة المرئية ، والكتابة والرسم والنحت والأغاني وغيرها .

لقد أصبح الإعلام في عالم اليوم قوياً في مواجهة المتلقي ، فلا يستطيع أن يهرب منه ، بل أصبح يلاقيه في كل مكان ، فلا يستطيع أن يغمض عينيه أو يسد أذنيه ، ولا توجد معادلة بين الإعلام والمتلقي ، فالإعلام هو القوي والمتلقي هو الضعيف ، وقلما يعبأ الإعلام بكافة المتلقين ،تقول د / رقية عواشرية – أستاذة بكلية الحقوق جامعة باتنة الجزائر – (إن من أهم خصائص الإعلام أنه ذو اتجاه واحد ،إذ نادراً ما يفسح المجال للفرد كي يرد عليه ، وأنه يفتقد روح الألفة التي تسود بين شخص وأخر ، لأنه يخاطب متلقياً افتراضياً . .) .

بينما نجد الأديب الكبير الأستاذ كامل المقهور رحمه الله ،حيث يرى (أن الإعلام وسيلة الجهاز السياسي والتنفيذي لإعلام المواطنين وغيرهم عن نشاطهما ، وربما لتبرير هذا النشاط ، والإعلام في أحسن ظروفه إخبار عن واقعة قصد التنبيه أو التبصير ، أو التحليل ، أو التوقع ، كما أن الإعلام وقتي ، يختلف حتى باختلاف الأيام والساعات) وهذا التعريف إنما ينطبق على دور الإعلام الرسمي فقط ولا يشمل وسائل الإعلام الخاصة والتي أصبحت هي المسيطرة في العالم ، سواء عن طريق المؤسسات الفردية أو الشركات الكبرى المتخصصة في هذا المجال ، بينما يعرفه الأستاذ إبراهيم الفقيه حس رحمه الله فيقول (الإعلام هو الوسائل والأدوات والبرامج لإشهار كافة الإبداعات والإنتاج الفكري المتنوع) وهذا التعريف يجعل الإعلام محصورا في المجال الأدبي الفكري فقط .

والحقيقة أن الإعلام أصبح حالياً لا يقتصر على الإعلام الرسمي الذي تتولاه الدولة ، ولا الإعلام التي تقوم به المؤسسات والصحف العامة أو الخاصة ، ولم يعد مجاله الأدب والفنون فقط ، بل أصبح شاملا لكافة أنواع المعرفة التي يمكن تقديمها للمتلقي ؛ سواء تعلقت بالعلوم والأدب والفنون أو بالدعاية والنشر والإعلان أو بالسياسة في أغلب الأحوال ، كما أنه بدأ يأخذ دوراً مهماً في توجيه الرأي العام المحلي والدولي ؛ إلى أمور مقصودة ومدروسة ومخطط لها ، وذات أهداف لا تخفى على كل متتبع لهذه الصناعة الحديثة والخطيرة في أن واحد.

ذلك فيما يخص الإعلام، أما الثقافة الذي يعتبر الإعلام فرعاً منها، وأن نشأته في البداية كانت لخدمتها، بنشرها وتعميمها على نطاق واسع، فالثقافة وفقا للتعريف الذي أقرته الدول الأعضاء في منظمة اليونسكو في اجتماعها بتاريخ 6 / 8 / 1982 م بمدينة مكسيكو الذي جاء فيه (إن الثقافة بمعناها العام والواسع ، هي عبارة عن جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية ، والتي تميز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعية بعينها ، وهي تشمل الفنون والآداب وطرق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان والنظم والقيم والتقاليد والمعتقدات) وعلى ذلك فإن الإعلام هو جزء من الثقافة ، وما دام الإعلام وليداً لها ، فمن أهم منطلقاته خدمة هذه الثقافة في جميع تخصصاتها بالمعنى الواسع للثقافة ، فلا يقتصر على جانب دون آخر .

وإذا أردنا الاستعانة بالمفكرين الليبيين في تعريف الثقافة ، فإن الأستاذ كامل المقهور يرى (أن الثقافة وسيلة القوم للتعبير عن النشاط الإنساني لجموع الناس، ومدى تطور علاقاتهم الفكرية بما يحيط بهم ، سواءً أكان ما يحيطهم أمور طبيعية أم علاقات إنسانية أو معرفية، والثقافة موقف من شؤون الدنيا، ولها نصيب من أمور الآخرة ، والثقافة ثابتة الجذور وإن تغيرت أوجهها وسبلها ، وطالها التحسين، نتاج تطور الحياة) بينما يقول الأستاذ إبراهيم الفقيه حسن (إن الثقافة هي حصيلة الخبرة والعلم والسلوك والفن والحرف والأدب المكتسب المتراكم على مدى السنين وما يضاف إليها) ثم يردف (وأقولُ ابتداء أنه ليس التعريف العلمي للثقافة) فكأنه هنا شعر أن هذا التعريف لم يكن شاملاً للثقافة بمفهومها الواسع .

ومن خلال كتاب الدكتور محمد المفتي توطين العلم والتقنية، نجد أن رؤيته للثقافة إنما تعتمد على ظهور ونمو العلم والتقنية ، فهما أساس بناء الحضارة الحديثة في أوربا ، وبالمقابل عجزت ثقافات أخرى عن أن تتطور على طريق العلم ، ومن بينها الحضارة العربية الإسلامية في العصر الوسيط، وبالمثل لم تنجح ثقافات أخرى في تحقيق النقلة من العلم التأملي القائم على الجهد الفردي إلى العلم التجريبي ، ولكي تكون لنا ثقافة فلا بد لنا من تأسيس قاعدة معرفية محلية تحقق تآلف المواطن مع العلم والتقنية ، ومع تركيزه على دور العلم فإنه لا ينسى الفن والأدب في مجال الثقافة إلا أنه يشير إلى أن عملية الإبداع العلمي وآلياتها لم تحظ باهتمام في مخططات التعليم العربي أو في الثقافة العربية الحديثة عموماً .

وإذا أردت أن أضع تعريفاً متواضعاً للثقافة والإعلام ، يمكن أن أقول : إن الثقافة هي المعرفة في

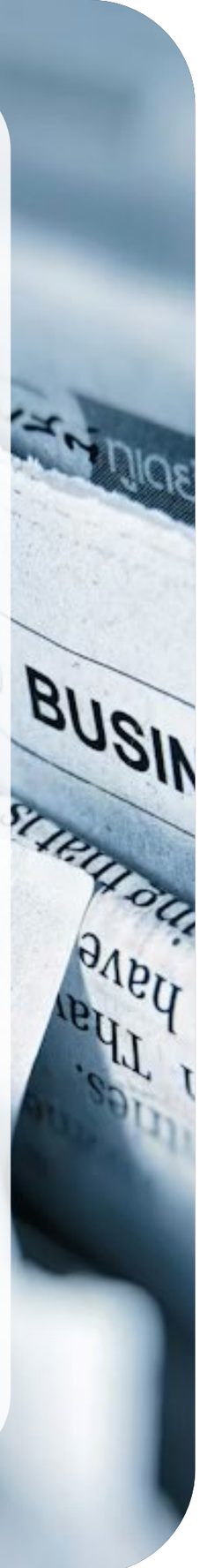

شتى المجالات العلمية والثقافية والعملية بكل ما يفيد البشرية أو يدل على نشاطها، أما الإعلام فهو الوسيلة التي تطل بها تلك المعرفة على الآخرين بكل صورها وهو رافد من روافد الثقافة ، ومن هنا يكون دوره خطيراً في تحديد نوع المعرفة التي يريد إيصالها ، أو التي يهدف إلى حجبها ، ولا يخفى تأثيرذلك على المجتمعات العربية وغيرها .

ومع ذلك فالأمر يحتاج إلى دراسة التعريف الذي وضعه الأستاذ كامل المقهور: (الثقافة موقف من شؤون الدنيا) وباعتبارها كذلك فإنه يدخل في تعريف المثقف فيقول (والمثقف على وجه يقيني ليس محصوراً في متعاطي الإبداع، وإن دخل في زمرة أصحاب الموقف ، والموقف يتطلب إلماماً ليس بالعميق العمق كله ،إلا أنه ليس بالسطحي . .) وهنا يربط المثقف بالموقف الذي يتخذه دون تفريق بين صور التعبيرعن تلك المواقف ، غير إنها جميعاً تحتاج إلى إلمام معرفي دون شك ، وهذا الإلمام لا يشترط فيه التعمق ولا يكون سطحياً ، ومع ذلك فهو يرى في المعرفة مجالاً واسعاً ، يجب فيه على المثقف (صاحب الموقف) أن يطلع على كل تطور علمي ومعرفي بوجه عام ؛ لكي يستوعب مجال موقفه ، وأدق جزئياته (إذا لم تكن هناك قضايا ومسلمات عامة يركن إليها المثقف في شأن من الشؤون) ومن هنا يكون المثقف هو كل من ساهم بعلم أو فن أو تجربة أو خبرة أو غيرها من صنوف المعرفة المتعددة، ولا يقتصر الأمر على فن دون أخر أو نشاط معين فقط .

ولكن هل قام الإعلام بدوره في خدمة الثقافة ؟ ، وهل ما يقدمه الإعلام يخدم جميع المثقفين ، أم أنه يركز على فئة دون أخرى ، أو قطاع دون أخر ؟ وهل يخص نشاطا بجل اهتمامه ويتيح له كل الفرص بينما لا يعطي بقية المجالات الأخرى اهتماماً كافياً ؟ دعونا نسمع وجهة نظر الأستاذ إبراهيم الفقيه حسن في هذا الأمر ، يقول رحمه الله : (نعلم على وجه اليقين أن الإعلام تطغى عليه أمور أخرى كثيرة غير ثقافية ، كالسياسة والرياضة ومواضيع الترفيه والدعاية والإشهار ، وأحياناً مواضيع التسلية والهزل ، وفي هذا الصدد نقول إن على الإعلام أن ينتظم ويرتب نفسه ؛ لأنه في الكثير من الأحيان له الأثر الفعال إيجاباً أو سلباً على أمور الثقافة ، لأن الثقافة من جهة يهمها عرض وإشهار العمل الثقافي ، ومن ناحية أخرى فإن ما يعرض بصورة عامة من الثقافة بوسائل الإعلام الحالية شيء ضئيل ومؤشره قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى تشويه الإبداع الثقافي المنجز).

لا يحتاج الكلام إلى تفسير، فالإعلام هنا يعطي مجالاً واسعاً للسياسة والرياضة والترفيه والدعاية على حساب الثقافة بمفهومها الشامل، وهذا ما أكده الأستاذ كامل المقهور من قبل حين قال رحمه الله: (ولقد تعودنا أن يكون حديثنا عن الثقافة لصيقاً بالأدب والفن أكثر من غيره من فروع العلوم الأخرى ، علمية واجتماعية ، وكأن هذا يحصرنا إلى حد ما فيما تتناوله وسائل الإعلام المكتوب والمسموع والمرئي ، في إغفال حقيقي ، ربما لم يكون متعمداً عن مجالات الثقافة الأخرى) هذا تأكيد على وجهة النظر الأولى في أن الإعلام يركز على أمور وإن كانت تدخل في الثقافة بمفهومها الواسع غير إنها ليست كل الثقافة ، ويستدل على ذلك بقوله (إن أصحاب الموسوعات جمعوا المخزون الثقافي لما يدعونه الحضارة الغربية في أربعة وخمسين جزءاً خص الشعراء والكتاب جزءاً منها وتتقاطر الشعوب على الحصول على جوائز تتعلق بعلوم الطبيعة والكيمياء والطب واكتفينا باللهاث وراء جوائز السلام والأدب).

ترى ما هي الثلاثة والخمسون الباقية من أجزاء المخزون الثقافي، هل يوازي الأدب والفنون ما بقي منها، وهل نتركها لنكتفي بالأدب والفن، وهل يمكن للأدب والفن أن يصلح أحوالنا المعيشية ويجعلنا نتقدم في كل المجالات العلمية كالاختراعات والطب والهندسة والطيران وعلوم الفضاء والفيزياء والكيمياء والذرة وغيرها ؟، ذلك ما أراد الأستاذ كامل المقهور رحمه الله أن يلفت النظر إليه بنظرة ثاقبة وأدلة سائغة.

يحاول كاتب ليبي أخر أن يتناول نفس الموضوع بمفهوم

مغاير ، وهو الدكتور محمد المفتي ، تحت عنوان الثقافة العربية بيئةٌ طاردة للكفاءات ، ويعزو ذلك لأسباب منها تهميش العلماء ، حيث يقول : (لدينا علماء موهوبون ، عباقرة لا شك ، لدينا نخبة علمية ، علماء المجالات البحثية (بيولوجيا / فيزياء / كيمياء) مهندسون ، أطباء جيولوجيون ، خبراء حاسوب . . إلخ ، لكن ما موقعهم من الخريطة الاجتماعية ؟ ما دورهم ؟ رجال العلم في الوطن العربي مهمشون ، سواء على صعيد اتخاذ القرار ، أو على مستوى الاحتفاء العام ، وهم مهمشون أيضاً حتى على مستوى النقاش العام ، فلا تسمع عن رأي في موضوع عام ، لجمعية علماء الكيمياء مثلا) .

تحدث الكاتب هنا عن حقيقة لا يستطيع أحد نُكرانها ، والدليل على ذلك ما نعانيه من تخلف وانحطاط رغم وجود العلماء الذين أشار إليهم في الوطن العربي ، فلو أنهم أخذوا مكانتهم لاستفاد منهم المجتمع ، ولاستطعنا تحقيق التقدم ، ربما في بعض المجالات أو التفوق في بعض الأحيان عن غيرنا ، لأن العقل البشري واحد لدى جميع البشر في الغالب الأعم ، وكل ما يلزمه سوى بيئة صالحة ترعاه ، ويضرب لذلك مثلا البذرة التي توفر لها الماء والسماد ، فإنها لا تأتي أكلها إلا إذا وضعتها في تربة خصبة .

ولكن من أين يأتي التهميش لهؤلاء العلماء في الوطن العربي ؟ ، لقد عزاها الكاتب إلى عدة أمور يهمنا منها الاحتفاء العام ، من هنا يشير إلى دور الإعلام في الوطن العربي فيقول : (ثمة من يحتلون الأضواء ، ويحتلون أولوية الاهتمام ، زعماء المناطق والقبائل السياسيون ، رجال الدولة أيا كانت مراتبهم ، المدراء أياً كانت صفاتهم ، رجال الدين .. .إلى الفنانين ، كل هؤلاء لهم الأسبقية على رجال العلم) وهذه إشارة واضحة إلى الإعلام الذي يعود إليه أمر تهميش العلماء في الوطن العربي ، فالإعلام هو الذي يؤدي دوراً كبيرا في هذا التهميش ، ذلك أنه لا يوازي في تقديم خدماته بين مختلف طوائف المجتمع وفعالياته فالرجل القيادي له دور ، والمثقف له دور ، والفنان له دور ، والعالم له دور والرياضي له دور ، وكل هذه الطوائف مجتمعة هي التي تشكل المجتمع ، وبالتالي تساهم في رقيه وتقدمه ، وليس للمجتمع غنى عن أدوار هؤلاء جميعا ، ومن ثم يجب على كافة أجهزة الإعلام أن توازن في نشاطها بين هؤلاء دون تهميش ، ودون تركيز لجانب دون أخر .

إن الدول المتقدمة ، كما يقول الأستاذ كامل المقهور ، رحمه الله : (هم حينما ينظرون إلى ثقافتهم جملة ، ينظرون إليها من كل الزوايا دون حصر ، ودون أن تكون كلها شعراً وقصة ورواية وأحاديث مكتوبة أو ملقاة ، إنهم يتلمسون هذه الحياة ويحصرون المثقفين الذين يواكبونها حتى تستقيم أو تتطور ، ولعلني لا أملك الباع لإعداد كيف كان السلف يأخذ بذات الاتجاه ، وكان الأعلام في الطب والكيمياء والجبر يتصدرون حتى قبل الشعراء والكتاب) .

والآن نطرح السؤال التالي : ما علاقة كل هذا بالعقل العربي ؟ ، إن الإجابة على السؤال لا ينبغي أن تقودنا إلى الإعلام الغربي الموجه ضد العالم الإسلامي على النحو الذي بينه الكاتب إدوارد سعيد في أحد مؤلفاته ، أو الإعلام الموجه للعرب في قضية فلسطين ، أو الإعلام الموجه من الشركات الغربية للعالم الثالث بتصريف إنتاجها وصناعاتها ، أو الإعلام المسخر لخدمة دول العالم الثالث والدعاية لها ، من محطات فضائية أو جرائد ومجلات تصدر في دول أخرى ، أو المحطات الفضائية التي أنشأها أفراد لديهم أموال لخدمة بعض البلدان ، أو لمن يدفع من دول العالم الثالث ، فهذه كلها لا تدخل في نطاق هذا المقال ، وإن كان لها تأثير على العقل العربي بشكل أو بأخر .

إن الذي يهمنا هنا هو تأثير الإعلام على مستقبل الشباب العربي وتوجيهه إلى مجالات معينة من خلال السياسة التي تتبعها وسائل الإعلام العربية ، والتي تخاطب قطاعاً كبيراً من هؤلاء ، فالخبر الذي رددته وسائل الإعلام العربي أكثر من مرة بشأن انتقال لاعب كرة قدم بريطاني إلى أمريكا مقابل مليون دولار في الأسبوع ، كفيل بأن يتمنى كل شاب في البلاد العربية أن يكون لاعباً للكرة ، ولن يتمنى أن يكون مهندساً أو طبيباً أو متخصصاً في الفيزياء أو الكيمياء ، أو في الذرة أو في علوم الفضاء ، فهو لن يصل إلى شهرة ذلك اللاعب ، والإشادة بمطربة عربية وإجراء لقاءات معها في الفضائيات والمجلات والجرائد على مدى سنين طويلة ، منذ أن كانت طفلة وحتى سن الثمانين ، سوف تجعل من كل فتاة عربية ترنو إلى أن تكون تلك المرأة الفنانة ، وتعزف عن الولوج في سلك العلم والعلماء ، لا شك أن لاعب كرة القدم البريطاني أصبح معروفاً في جميع أنحاء الوطن

العربي ، في الوقت الذي نجهل فيه علماء هذه الأمة ، بل وهذه البلاد ، من منا يعرف ذلك الشاب الذي صنع صاروخاً خلال الستينات وأسمه فتحي ، أين ذهب وماذا حل به وأين اختراعاته ؟ وأين الإعلام العربي من المهندس الغرياني الليبي الأصل الذي تعاقد معه البنتاجون للقيام بدراسة فنية متخصصة ؟ لا يعرفها إلا القلائل في العالم .

لقد شاركت في برنامج إذاعي ، فكتبت لهم سؤالاً عن العالم الليبي الذي قام بتصحيح قبلة جامع القرويين بفاس ، وقام المذيع (عبد الرحمن محمد) بإذاعة السؤال في أكثر من حلقة ، دون أن يحصل على إجابة صحيحة ، كما وجهت سؤالاً حول الرحالة الليبي الذي زار اليابان والهند ، وكتب عنهما كتاباً ، فلم يعرفه أحد ، إن الصورة التي اختارها صاحب دار الكلمة للنشر ، التي وضعها على غلاف الكتاب ، وهي للفنان القدير محمد الزواوي فيها أكثر من دلالة على هذا الأمر ، ويظهر في اللوحة كاتب أو أديب أو باحث ليبي ، يجلس على الأرض ليدبج مقالات أو أبحاثاً علمية ، وتكاد عيونه تخرج من زجاج نظارته ، وزوجته تقوم بطهي الشاي ، وأمامها شاشة الإذاعة المرئية ظهر فيها لعيب كرة ، فقالت له : [يا ريتك طلعت لعيب كورة . . يا خسارتك ! ؟] ، إن هذا الفنان الكبير قال في هذه الصورة ما أردت قوله في مقالات عديدة تضمنها ذلك الكتاب .

إن اهتمام وسائل الإعلام العربي بهذه الأنشطة ، أي الرياضة والفن والأدب ، دون غيرها من الأنشطة العلمية والثقافية الأخرى ، جعلت الكثيرين يعتقدون أن الثقافة تقتصر على القائمين بهذه الأنشطة فقط ، ومن يدور في فلكهم من أعمال مساعدة أو مماثلة وهذا الاعتقاد الخاطئ - فيما أحسب - هو الذي سبب في انصراف الشباب ، أو قطاع كبير منهم إلى محاولة الدخول في هذه الأنشطة ، والولوج في مجالها وتشجيعها ، لأنها طريق سريع للشهرة والكسب ، بخلاف الطريق العلمي الذي يحتاج إلى جهد ووقت وبحث قد يستغرق السنوات ، وإذا ظفر بنتائج علمية مفيدة ، أو تفوق في مجاله ، فلا يجد أحيانا أذنا صاغية ، وربما يبعدوه عن مجال تخصصه ، بل لا يجد أحياناً من يعرف به وبنشاط العلمي ، لأن وسائل الإعلام لا تعيره اهتمامها .

إن وجود جائزة تقديرية أو تشجيعية للنشاط الثقافي شيء جميل ، وهو أمر مطلوب في كل مجتمع يحاول السير في مجال التقدم والازدهار ، غير إن اقتصار هذه الجائزة على أنشطة ثقافية دون أخرى ، فذلك يعني تغليب جانب على أخر ، مادمنا اعتبرنا أن الثقافة تشمل الجوانب العلمية أيضاً ، وقد تكون تلك الجوانب مهمة للمجتمع أيضاً إلى جانب الفن والأدب ، إن تخصيص جائزة الفاتح التقديرية أو التشجيعية للأدب والفن فقط ، دون أن تكون هناك جائزة أخرى للعلوم ، فيه إجحاف بالعلماء ، وهضم حقوقهم وتسفيه جهودهم رغم ما يقدمونه من أعمال مفيدة .

إن ما طرحته هنا ، هو ما اشعر به من هموم تعاني منها أمتنا العربية والإسلامية والحالة المزرية التي تعيشها ، والتي أعتقد أن الإعلام له دور كبير في صنع هذه الوضعية وأن المفهوم السائد للثقافة في الوطن العربي ، هو مفهوم خاطئ ، والأخذ به أو السير وفقا لاتجاهه ، يؤدي حتما إلى نتائج عكسية ، وهو ما نراه اليوم لحالة التخلف والتمزق الذي نعيشها ، فإذا ما أعطينا الأشياء تسميتها الحقيقية ، ومكانتها الصحيحة ، ربما نلحق بالعالم المتقدم ، أما إذا تركنا الأمور تسير على هذه الوتيرة ، وجعلنا الإعلام يسيرنا كيفما أراد ويسبغ علينا أساليبه دون أن نطرح عليه هذه الإشكاليات ، أو نناقشه في كل ما يقدمه للمواطن العربي ، ومحاولة توزيع جهوده على ميادين الثقافة الواسعة بما فيها المجالات العلمية ، فإننا لن ننجح في قطع خطوات في سبيل التقدم .

فنحن بحاجة إلى وقفة تأمل ، نُعيد فيها النظر ، وفق دراسة جدية للسياسة الإعلامية التي تسير عليها وسائل الإعلام في البلدان التي تعاني من التخلف بصورة عامة ، وفي البلدان العربية بصورة خاصة ، فالتطور الذي لحق وسائل الإعلام ، وسيطرته على المجتمع في كل مكان ، يستدعي منا أن نقوم برسم السياسة الإعلامية بهدف تسخيرها لخدمة التنمية ، وإصلاح المجتمع وتقدمه ، لا أن نترك لها العنان لتحاكي غيرها ، ونقلد الإعلام في الدول الأخرى المختلفة عنا في حضارتها وثقافتها لأن سياستها الإعلامية لا تتم اعتباطاً ، وإنما هي مدروسة ومخطط لها بما يكفل لها تحقيق أغراضها التي من ضمنها السيطرة على مقدرات الشعوب ، وتسخيرها لخدمة أهدافها وتحقيق مكاسبها ، فمشكلتنا في الوطن العربي مع الإعلام ، والحل لا يكون إلا عندما نصلح الإعلام .

ختاما ، أيها السادة الكرام ، لا أدعي أن ما قلته يمثل الحقيقة بكاملها ، ولكنها وجهة نظر تحتمل الخطأ والصواب ، غير إن الهدف هو أن نجعل وسائل إعلامنا مسخرة لخدمة التنمية في كل مجالاتها العلمية والأدبية ، وأن سياسة الإعلام العربي بوضعه الحالي إنما تعمل على تحجير العقل العربي ، بل وتعمل على قتله إذا استمر في هذا الاتجاه ، سواء كنا ندري أو لا ندري ، وإني لا أقلل من دور الأدباء والشعراء والفنانين أو الكتاب الآخرين بل أرى أن يعطي الإعلام - إلى جانب هؤلاء - اهتمامه بالعلماء الذي يساهمون في التقدم والرقي في مجالات لا تقل أهمية عن الآداب والفنون ، ولا أجد ما أختم به قولي سوى أن استحضر كلام زميلي العزيز الأستاذ المستشار كامل المقهور حيث ختم حديثة عن الثقافة بالقول : -

(إني لا أدعو إلى الفرقة أو التمييز ، ولكنني أدعو إلى أن يتسع مفهوم الثقافة لكي يشمل كل هؤلاء وأولئك ، وأن يكون التكريم للسباقين في العلم والعمل ، ولربما حان الأوان لكي تفرد الجائزة التقديرية لعلماء أو أطباء أو غيرهم ، فقد نلنا نحن الذين نتعاطى الأدب والفن نصيبنا ، ولربما آن الوقت لكي يشكل مجلس أعلى للثقافة يضم إلى جانب الأدباء والكتاب العلماء والمتخصصين في شؤون الحياة يواكبون هذا العالم ، التي أصبح العلم وقودها والثقافة العلمية مجالها) .

وهي دعوة صادرة عن مفكر ليبي ، له تجربة غنية وفكر منير ، أسهم في مسيرة الثقافة في ليبيا ، أنقلها إلى القائمين على شؤون الثقافة والإعلام في بلادنا ، لعلهم يعملون على جعل جهازنا الإعلامي مسخراً بكامل وسائله ، لخدمة الثقافة بمفهومها الواسع ؛ بما في ذلك الجوانب العلمية النظرية والتطبيقية .

رحم الله الأستاذ كامل المقهور ، ورحم الله الأستاذ إبراهيم الفقيه حسن ، لأنهما تناولا موضوع الإعلام والثقافة في كتاباتهما ، وتركا لنا ذخيرة من الأفكار ننهل منها حتى بعد وفاتهما ، ولعل هذا المقال يذكر بجهدهما الفعال في خدمة الثقافة في بلادنا ، ومساهمتهما في الحركة الفكرية .

النقود الورقية غير الرسمية والنقود الالكترونية كارثة اقتصادية مركّبة

بقلم:
أ. عبد الحميد الفضيل

بعد نحو عقد من الزمن، كشف مصرف ليبيا المركزي في بيانه الصادر بتاريخ 14 أكتوبر 2025 عن قيمة الأوراق النقدية غير الرسمية من فئتي العشرين والخمسين دينارًا، التي تمت طباعتها في روسيا، والتي بلغت 26.4 مليار دينار ليبي.

المثير للدهشة أن البيان أشار إلى أن 10 مليارات دينار من هذه الكمية تُعد مزوّرة، في حين لمّح ضمنيًا إلى أن ما قيمته 16.4 مليار دينار تعدّ «شرعية»، رغم أنها لا تستوفي الشروط القانونية للعملة الشرعية، والمتمثلة فيما يلي:

- عدم حملها توقيع محافظ مصرف ليبيا المركزي – طرابلس.
- عدم صدورها عن إدارة الإصدار بالمصرف المركزي طرابلس.
- تم طباعتها دون غطاء نقدي.
- عدم تسجيلها ضمن العملات المصدرة في بيانات النشرة الاقتصادية لمصرف ليبيا المركزي.
- عدم إدراجها ضمن عرض النقود. (انظر النشرة الاقتصادية لمصرف ليبيا المركزي –الربع الرابع 2024).

إنّ التفريق بين ما هو «مزور» وما هو «شرعي» من ذات المصدر، يُعدّ تناقضًا جوهريًا في موقف مصرف ليبيا المركزي. فقبول جزء من هذه العملات والتغاضي عن البقية، يعني ضمنيًا الاعتراف بشرعية إصدار غير قانوني.

وكان الأجدر بالمصرف أن يعلن بوضوح أن جميع العملات المطبوعة في روسيا صدرت عن جهة غير رسمية، وأن سحبها من التداول يمثل خطوة ضرورية لحماية النظام النقدي، ولقطع الطريق امام اي طباعة جديدة مستقبلًا، دون أن يُعدّ هذا السحب اعترافًا قانونيًا بها، بل تعاملًا واقعيًا مع وضع فرض نفسه نتيجة انتشارها الواسع وقبولها العام كوسيلة تبادل ومخزن للقيمة.

لكـن الكارثـة لـم تتوقف عنـد هذا الحـد، إذ تم اسـتحداث شكل آخـر من النقـود غير المغطـاة تمثّـل في النقود الإلكترونيـة التي أنفقتهـا الحكومـات المتعاقبـة الموازيـة المكلّفة من مجلـس النواب. وقـد بلغ إجمالي هـذا الإنفاق نحـو 186 مليار دينـار ليبي، مثّـل «دينًـا عامًـا محليًا» مولتـه سـندات خزانـة أصدرتها هـذه الحكومات لصالـح ما يُعـرف بـ«المصـرف المركزي المـوازي» في البيضـاء، ومـن بين هذا المبلـغ الضخم:

ما قيمته 26 مليار دينار كانت على هيئة أوراق نقدية مطبوعة في روسـيا (14%).

مـا قيمتـه 160 مليار دينـار كانت في شكل نقـود إلكترونية (86%)، تمثـل التزامات مصرفيـة غير مغطاة، لكنها اسـتخدمت فعليًا في الإنفاق على السـلع والخدمات.

النقود الإلكترونية... الخطر الخفي.

مـن المهم الإشـارة إلى أن أثـر النقود الإلكترونية علـى الاقتصاد الليبي كان أشـد خطورة من أثـر النقود الورقية غير الرسـمية. فهذه الأرصـدة الإلكترونيـة، رغم أنهـا لم تُطبـع في شكل أوراق نقديـة، إلا أنها مثلت طلبًـا فعليًا على السـلع والخدمـات والنقد الأجنبي، مما عمّـق أزمة التضخم وسـاهم في مزيـد من الضغط على سـعر صرف الدينـار الليبي.

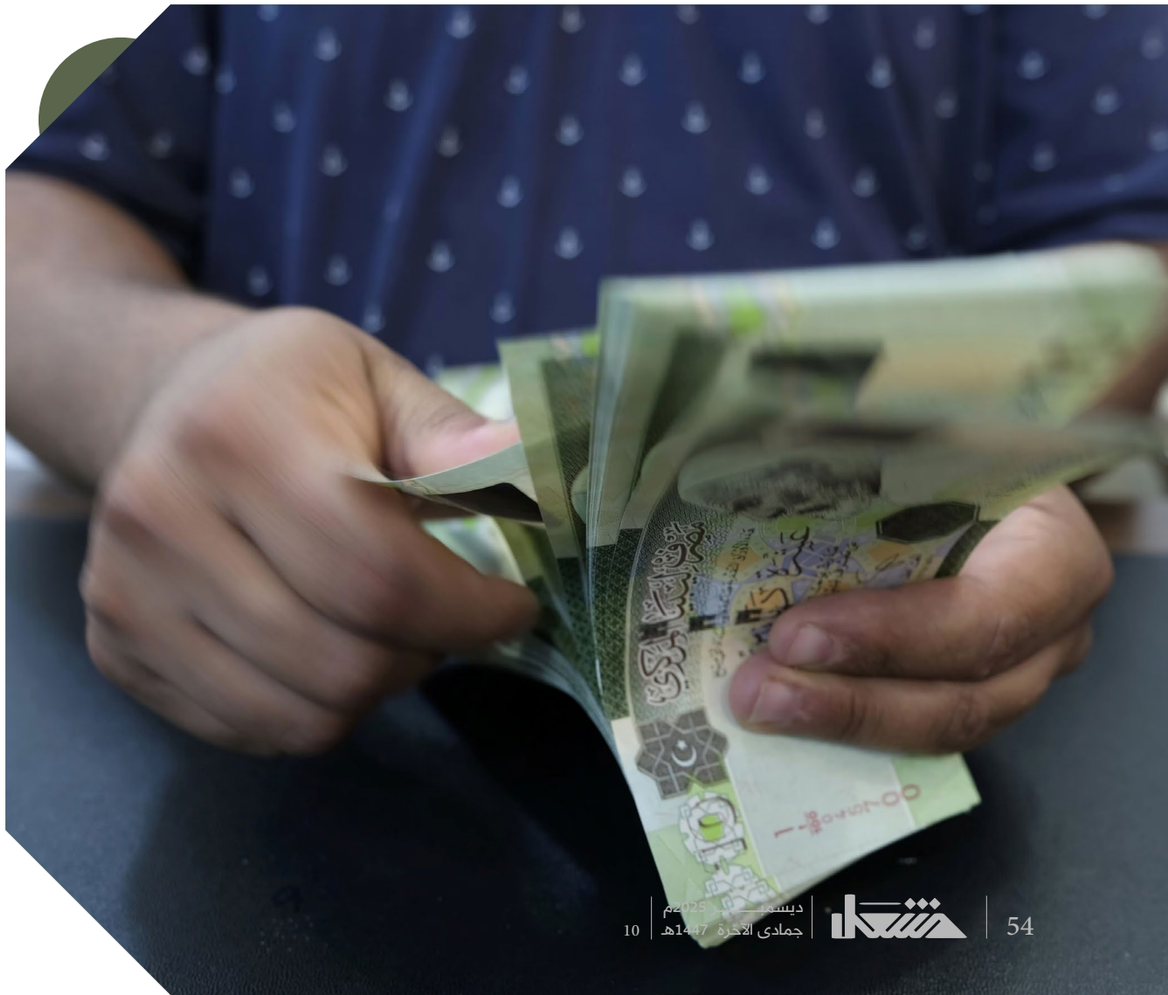

انعكاسات اقتصادية خطيرة:

لقـد خلّفـت هـذه الإصـدارات مـن الأوراق النقديـة غير الرسـمية بالإضافـة الى النقـود الالكترونيـة، آثـارًا اقتصادية عميقـة، أبرزها:

- زيادة المعروض النقدي خارج سيطرة السلطة النقدية.
- ارتفـاع الطلـب علـى النقـد الأجـنبي، وانخفـاض قيمة الدينـار الليبي.
- تسـارع معـدلات التضخـم وارتفـاع المسـتوى العـام للأسـعار.
- تدهـور القوة الشـرائية للدينار اللـيبي، وارتفاع معدلات الفقر.

ختامًا ....يمكـن القـول إن الصدمات التي تلقاهـا الاقتصاد الليبي نتيجة الإنفاق الموازي - سـواء مـن خلال النقود الورقية المطبوعة في روسـيا أو النقود الإلكترونيـة غير المغطاة - شكّلت تهديـدًا وجوديًا للاسـتقرار النقـدي، وأضرت بقيمـة الدينار الليبي إلى درجـة كادت تصيب الاقتصـاد في مقتل.

إن مـا حـدث لا يمكـن تصنيفـه إلا في إطـار الجرائـم الاقتصاديـة التي تسـتوجب المسـاءلة القانونيـة، ويجـب ألا يقتصـر التركيز على العـملات الورقيـة (المزورة) فحسـب، بـل أن يشـمل أيضًا النقـود الإلكترونيـة التي تـم ضخها خارج القنـوات الشـرعية، لمـا لها من أثر مـوازٍ - بل وأعمـق - على الاقتصـاد الوطني.

خدماتنـــــــا

• المكتـــــبة العامـــــة

يوفر مركز الشـيخ علـي الغريـاني للكتاب مكتبـة عامة تحتوي علـى أكثر من 46 ألـف عنـوان في مختلف صنوف المعرفـة والعلوم، مصنفـة ومرتبة ومجهزة وفـق أفضل أنظمـة تصنيف المكتبـات، وتفتح المكتبـة أبوابها للـزوار على مدار اليوم من السـاعة 9 صباحا وحتى 11 مسـاء، وتشـمل المكتبـة أماكن مخصصة للنسـاء وللرجال، وإضاءة ومقاعـد مريحة للقـراءة وخدمات إنترنت.

• قاعات التدريب المجهزة

يوفـر مركـز الشـيخ علـي الغريـاني للكتـاب قاعـات لاسـتضافة وتقديـم التدريبـات وورش العمـل والمؤتمـرات والملتقيـات والمحاضـرات، والقاعـات مجهزة بأفضـل الإمكانيات مثل السـبورات الذكية، وأجهزة العـرض الحديثة، والشاشـات وأجهـزة الحاسـوب، وشـبكة الإنترنـت وغيرهـا مـن التجهيزات، ويمكـن حجز القاعـات مجانـا لإقامة الأنشـطة عبر التواصـل مـع إدارة المركز

• خدمات أخرى

يقدم مركز الشـيخ علـي الغرياني للكتاب عـددا من الخدمـات الأخرى لتوفير بيئـة مثالية لرواد المكتبـة وطلاب العلـم والمعرفة، حيث يقدم لـزواره خدمات مجانيـة عـدة مثـل الطباعـة، وخدمات تصويـر المسـتندات، وشـبكة انترنت مجانيـة، وتوفير صحـف ومجلات يوميـة، ومقهى، وخدمات أخرى يسـعى من خلالهـا المركز إلى تلبيـة كافة الاحتياجـات لرواده.

مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب
Sheikh Ali Alghiryani Book Center

تاجوراء : قرب كوبري الشاحنات ، بجوار مدرسة الإمام مالك للتعليم الشرعي

@ Shabcenter

00218 91 024 0866

info@shabcenter.ly

للتبرع للمركز:

حساب الوقف **080-210-102**
بمصرف الجمهورية / فرع الشاحنات

حساب الصدقة العامة **030-210-2099**
بمصرف الجمهورية / تاجوراء